لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)

(التوبة — الفتح — الصف)

- أنور الجندي -

دار الأنصار
مكتبة . طباعة . نشر . توزيع
٨١ ش البستان . ناصية ش الجمهورية
أمام قسم عابدين ت ٩٣١٥٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
(٣٣ — التوبة)

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
(٢٨ — الفتح)

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)
(٩ — الصف)

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل إلى البحث

إن أديان السماء كلها هى فى الأصل دين واحد وأن الإسلام إنما جاء ليضع رسالة السماء كلها فى منهج عالمى خالد وأن كل دعوة سبقت الإسلام إنما حملت فى أطوائها الإيمان بالإسلام والتبشير بمحمد ﷺ وأن عليها متى بلغتها دعوته أن تؤمن به ولكن أصحاب الأديان حرفوا وبدلوا وأزالوا هذا الإرتباط ، ومن ثم فان اعتراف الإسلام بدين موسى ودين عيسى عليهما السلام إنما هو اعتراف برسالة كل منهما السماوية الأساسية التى جاءت به فى دورها وزمنها ووضعها المحدد ، وكلاهما إلى بنى إسرائيل بين يدى الرسالة الخاتمة إلى العالمين ، وليس بوضعها الذى وصلت إليه بعد التحريف والتغيير الذى أدخل عليها لجعل كلا منها دينا خاصاً كاليهودية أو ديناً عالميا كالمسيحية ولا ريب أن بين الإسلام والمسيحية المعاصرة القائمة الآن خلافا فى مسائل كثيرة أساسية (وليس خلافا أكاديميا كما يدعى المدعون) وبخاصة فى الأمور الثلاث : التثليث والصلب والخطيئة .

وإذا كانت محاولات الحوار ترمى إلى الحصول على كتابات إسلامية تعترف بأن المسيحية بوضعها الحالى هو الدين الذى أنزل على عيسى عليه السلام وأن الخلاف بينه وبين دين الإسلام فى مسائل فرعية فان ذلك أمر يجب الكشف عن خطره والمؤامرة المختبئة وراءه ، ذلك أن الغرب الآن بعد أن تبين له فساد المفاهيم اللاهوتية المقدمة إليه وخاصة بعد أن استطاع البحث العلمى أن يكشف زيفها . يتطلع إلى « الدين الحق » الذى يجد فيه مفهوم الإله الصحيح ، ومفهوم العقيدة الحقة ، ومن أجل أن هناك تياراً قد نشأ فى قلب الفكر الغربى يتطلع إلى الإسلام بعد أن فشلت

تجاربه مع تفسيرات الأديان القـــائمة ومع الأديان الوضعية ، ومع الأيديولوجيات فان علينا أن نقدم الاسلام بمفهومه الصحيح (دينا ونظام مجتمع ومنهج حياة) حتى يكون طلابه على بينة من الأمر إذا أرادوا الدخول فيه وكذلك فان علينا أيضاً أن نبين أن تفسيرات الأديان التى بين أيدى الناس تختلف عن واقعها وحقيقتها .

ولقد جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم ليكشف هذه الحقيقة :

(قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) بما يدل على أن هناك معالم أساسية أخفيت وحرفت (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) بمعنى أنهم اتبعوهم فى تزييف النص الأصلى .

١ — ولقد حمل لواء هذه الفكرة كثير من أعلام الفكر الإسلامى فى مختلف العصور وفى مقدمتهم الأئمة ابن تيمية وابن حزم وابن القيم فى دراسات ماتزال تحمل نبض الإيمان الصادق :

الغزالى : الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الإنجيل .

ابن تيميه : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

: تخجيل أهل الإنجيل .

الجاحظ : فى الرد على النصارى .

على بن زين الطبرى : الرد على النصارى .

ابن حزم : الرد على ابن النغريلة اليهودى .

: الفصل فى الملل والنحل .

ابن القيم : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى .

٢ — أما فى العصر الحديث فان أعظم الأعمال فى هذا الميدان كتاب (إظهار الحق) للإمام محمد رحمه الله بن خليل الرحمن كتبه فى منتصف القرن التاسع عشر (١٢٨٠ هـ) ثم توالت فى العصر الحديث كتابات الباحثين المسلمين .

محمد عبـــده : الإسلام والمدنية بين الإسلام والنصرانية .

محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرا[illegible]

أحمد شلبي : المسيحية فى مقارنات الأد[illegible] .

فتحى عثمان : مع المسيح فى الأناجيل الا[illegible]ة .

أحمد حجازى السقا : أقانيم النصارى .

عبد العظيم المطعنى : مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه .

منصور حسين عبد العزيز : دعوة المسيح .

أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .

٣ — ومن الناحية الأخرى تعددت الأبحاث فى الغرب وكشفت حقائق كثيرة :

دائرة المعارف البريطانيه : عن إنجيل يوحنا (يراجع صفحة ٨١) من هذا الكتاب .

دائرة المعارف الفرنسية : مادة توراه (يراجع ص ٥٧ ، ٤٨) من هذا الكتاب .

ليكى : كتاب تاريخ أخلاق أوربا .

محمد أسد (ليوبولد فايس) : على مفترق الطرق .

أنيس فريحه : نقد التوراه (مجلة الأبحاث م ٤ ص٢٧٠) .

مجلة لايف : عدد أبريل ١٩٦٥ عدد خاص باسم الكتاب المقدس .

موريس وايلس ودنيس ناينهام : كتاب أسطورة تجسيد الإله .

موريس بوكاى : الكتب المقدسة والقرآن والعلم .

موريس بوكاى : بحثه فى الملتقى الإسلامى فى الجزائر (١٩٧٨) .

أسوق هذا للقارىء الكريم لكى أؤكد له أن الحقيقة الربانية التى سجلتها الآية الكريمة (ليظهره على الدين كله) لم تعد خافية على أحد سواء فى الشرق أو فى الغرب .

وصدق الله العظيم (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) والله يتولى هدانا إلى طريقه الحق ؟

« مسلم »

فهرس

(١)

القرآن إزاء العلم بالمقارنة مع الكتاب المقدس

كتاب بين قراء العلم :

ما يزال كتاب الدكتور موريس بوكاى (الكتاب المقدس والقرآن والعلم) يحدث أصداء مختلفة فى مجال الدراسات الرصينة الجادة . وخاصة فى مجال الفكر الإسلامى ، بعد أن قامت أكثر من جهة بترجمة فصول منه وقد جاء هذا الكتاب فى طريق الدراسات الحديثة التى كشفت عن تعارض التوراة والإنجيل مع العلم ، والتقاء الإسلام به .

كتاب سماوى :

وخلاصة ما يقول موريس بوكاى : أنه بعد دراسات طويلة قام بها للتوراة والإنجيل والقرآن ، تبين له بما لا يقبل نقاشاً ولا جدلا : أن « القرآن » هو الكتاب المنزل من السماء ، وأن آياته الكونية لا تصادم أى نظرية علمية ، وأن صدقه فى هذه النظريات يؤكد : أنه وحى من الله أنزله على خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وحى أم شهادة :

ولعل أخطر ما يقرره بوكاى : هو أن التوراة والإنجيل ليست فى مقام القرآن ، ولكنها فى مقام المرويات والأفعال ، وأن هذه الكتب كتبت بعد موت عيسى بعشرات السنين . وأنها شهادات بشرية عن وقائع ماضية . وأن مؤلفى الأناجيل الأربعة المعترف بها ، لم يكونوا شهود عيان للأحداث التى يروونها ، وأن الكنيسة اعتمدت أربعة من هذه الأناجيل رغم وجود التناقضات فيما بينها فى كثير من النقاط ، وأمرت بإخفاء الأخرى التى وصفت بأنها مشكوك فيها .

ليس هناك نص موحى :

يقول : وثمة فرق أساسى آخر بين المسيحية والإسلام فيما يتعلق

بالكتب المقدسة ، ذلك هو غياب النص الموحى به والمحدد فى الوقت نفسه عند المسيحية ؛ بينما يملك الإسلام (القرآن) الذى يحقق هذا التعريف .

ويقول : إن القرآن هو نص الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من سيد الملائكة جبريل ، وقد كتب فى الحال وحفظه المؤمنون عن ظهر قلب ورددوه أثناء صلواتهم ، وخلافا لما جرى فى الإسلام ، فإن الوحى المسيحى ينبنى على شهادات إنسانية متعددة وغير مباشرة ، لأننا لا نملك أية شهادة من شاهد عاين حياة المسيح .

التوافق والتعارض :

ويشير بوكاى : إلى مقابلة نصوص الكتاب المقدس بمعطيات العلم . ويقرر : أن هناك اختلافات بين نصوص التوراة وبين العلم ، بينما نجد أن ثمة توافقا بين القرآن وبين الحقائق العلمية « فالقرآن يذكر حقائق ، للعلم فيها كلمته » .

ويقول : أن معطيات التوراة ، المتعلقة بخلق الإنسان وظهوره على الأرض خاطئة . بينما لا يتصادم القرآن مع أية حقيقة كونية ، فضلا عن أن القرآن : قد قدم مجموعة من النظريات لم تكن معروفة وقت نزوله ، بل لم تعرف إلا فى الأيام الحديثة ، وبعضها مازال مجهولا أمام العلماء .

ويشير بوكاى إلى دعوة القرآن إلى العلم . وإلى أنه فى العصور التى كانت أوربا غارقة فى الجهل . أنجز المسلمون كميـــات من الأبحاث والمكتشفات ، وكان كثير من أهل أوربا يسافرون إلى قرطبة ، لإتمام دراساتهم على أيدى العلماء المسلمين ، وخاصة علوم الجبر ، والفلك ، والطب والنبات والجيولوجيا علم « طبقات الصخور » .

نصوص القرآن والدقة العلمية :

ويقول بوكاى : لقد قمت بدراسة القرآن ، فأدهشنى أن وجدت هذا القدر الكبير من المعطيات المطابقة تماما للعلم الحديث . وأول ما أثار دهشتى هو النص الدقيق للخلق وعلم الفلك ، وبعض الموضوعات الخاصة بالأرض وعلم النبات ، والتناسل الإنسانى ، حيث توجد فى (التوراة) عدة أخطاء . ولذلك فإنى أتساءل : إذا كان القرآن بشريا ، فكيف استطاع أن يصل إلى هذه المعجزات العلمية ، التى لم نصل إليها إلا بعد أربعة عشر قرنا ؟

ويقول : إن صحة القرآن لا تقبل الجدل ، ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة كل الكتب السماوية ، التى أنزلت قبل ذلك . وأشار إلى أن القرآن وحده ، هو الذى قدم مفهوم الخلق فى أماكن متعددة ، على نحو يختلف اختلافاً جوهرياً عن التوراة .

عبارة فلكية :

ويقول : إن أول وصف أذيع فى العالم الكيفية التنقل فى الفضاء جاء فى القرآن ، إذ يقول « وكل فى فلك يسبحون » سورة يس ٤٠ . ومعنى هذا : أن كل من يتحرك فى الفضاء الخارجى لا يتحرك بطريق المشى ولا بأية طريقة أخرى إلا بما يشبه (السباحة) وقد استخدم العلماء الكلمة التى ذكرها القرآن منذ أربعة عشر قرنا (السباحة فى الفضاء) .

١ — نقد العهد القديم

ويعرض الدكتور موريس بوكاى للعهد القديم (التوراة) ويتساءل عن مؤلف العهد القديم ، ويؤكد أن الذين كتبوا الكتب المقدسة هم بشر يمتازون بخاصية تجعلهم أقرب إلى قداسة الكنيسة ، ويناقش بوكاى أصالة

أسفار التوراة ويقول : إنها مسألة أكثر تعقيداً : وأن العهد القديم كالعهد الجديد (الإنجيل يطرح مسائل تثير الجدال والمباحثة . ويرجع إلى ما كتبه الأستاذ أدموند جاكوب الذى يشير إلى : أنه كانت هناك كثرة من النصوص وليس نصاً واحداً . لقد كان نحو القرن الثالث قبل المسيح ثلاثة أشكال لنص التوراة العبرى على الأقل : نص الشارحين اليهود ، والذى استخدم على الاقل فى جزء من الترجمة اليونانية والأسفار السامرية الخمسة .

ولو كنا نملك هذه الاشكال الثلاثة للنص الآن لكان بالإمكان عقد المقارنات والوصول إلى رأى فيما يمكن أن يكون عليه الأصل ، ولكن سوء الحظ شاء أن لا تكون لنا أدنى فكرة عن هذه النصوص .

مدركات مرفوضة :

ويقول: أن المدركات التوراتية المتباينة، كانت بين مختلف الكنائس المسيحية ، سبب رفضها جميعها بنفس الأسفار ، كما أنها حتى الآن ليس لها فى اللغة الواحدة (العبرية واليونانية واللاتينية والسريانية والارامية) الأفكار الواحدة عند الترجمة .

ويبدو أن إسهام الإنسان فى نص العهد القديم كان عظيما وأننا لنتحقق من ذلك ، دونما عسر من نص إلى آخر ، ومن ترجمة إلى أخرى ومن التصحيحات المستخلصة حكمنا أن النص الأصلى كان ممكنا تحريفه خلال أكثر من ألفى سنة .

وأصل التوراة :

كما يقول دكتور بوكاى — قبل أن تصبح مجموعة أسفار كانت تقليداً شعبياً يرتل عفويا من الذاكرة . وفى المرحلة البدائية يسبق النظم النثر ،

ولذلك كان الإنشاد دأب كل شعب ، وشعب إسرائيل ـ مدفوعا بظروف تاريخية ـ أنشد كثيراً ، فى ذروة الحماس كما هو فى هوة اليأس مساهما فى كل ما يقع له .

ومنها أيضاً الأمثال والعبر (سفر الأمثال) عبر وأمثال الأسفار التاريخية ، ويذكر ادموند جاكوب: أن هذه الكلمات نقلت إما عن الطريق العائلى أو عن طريق الهياكل ، وسرعان ما استحالت أسطورة . ومن ذلك فإن (جاكوب) يرجح أن ما يقصه العهد القديم عن موسى والآباء ، لا يتفق إلا قليلا مع السرد التاريخى للأحداث . غير أن الرواة أفرغوا هذه الكلمات فى أسلوب خيالى ، ليصلوا بينها بوقائع مختلفة لإبراز ما حدث لدى بداية العالم والبشرية ، كما لو كان قصة معقولة فى النهاية عند بعض الناقدين .

هذه الطريقة من التركيب ، قربت بين مجموعة متخالفه هى : العهد القديم ، على أساس مبدئ من الرواية الشفوية .

نشأة الأدب الفرنسى والتوراة :

ويمكن المقارنة بين نشأة التوراة ونشأة الأدب الفرنسى فى عصر ملكية الفرنسيين. والمقارنة المقصودة بين نشأة التوراة ومثل هذا الأدب الدنيوى ، تبدو بصورة دقيقة مطابقة للحقيقة : انها لا تهدف مطلقا إلى أن تلفظ نصوص التوراة فى مجموعها ، كما يفعل كثير من الجاهدين ، تقييد للعقيدة فى الله ، وهى النصوص التى يحررها البشر اليوم ، كمخزن لمجموعات الدين الوثنى .

ويعلق بوكاى : « بعد أن أوردت رواية جاكوب ، التى أكدت أن التوراة لا تمثل نصاً إلهياً على الإطلاق وأن القدر الدينى منها لا يكاد

يذكر . بل إن غلبة الفكر البشرى عليها واضح جداً . حتى يمكن أن توصف كما ذكر جاكوب بأنها مخزن الدين الوثنى .

ما هو العهد القديم ؟ :

يقول بوكاى : أن العهد القديم مجموعة مؤلفات غير متساوية الطول ومختلفة النوع وقد كتبت خلال أكثر من تسعة قرون فى لغات عدة أخذاً بالسماع ، وكثير من هذه المكتوبات صححت ثم أكملت تبعاً للأحداث أو للضرورات الخاصة ، على مدى أجيال متباعدة أحيانا بعضها من بعض.

ويقول : أنه فى وقت متأخر قليلا ولعله فى مجرى القرن العاشر قبل الميلاد ، كان قد وضع النص اليهودى للأسفار الخمسة، وزيد عليها فيما بعد المقطع الآلهى والمقطع الكهنوتى .

صرح أدبى :

ويقرر بوكاى : أن العهد القديم ظهر كصرح لأدب الشعب اليهودى من أصوله حتى العصر المسيحى ، وقد حررت الأجزاء التى يتألف منها وتمت وروجعت فيما بين القرنين العاشر والأول قبل المسيح، وليست هذه وجهة نظر شخصية تدلى بها هنا عن تاريخ تحريرها ، بل لقد أخذت معطياتها التاريخية الأساسية من فصل : (التوراة) المكتوب لدائرة المعارف العالمية (طبعة ١٩٧٤) جزء٢ ص ٢٤٦ — ٢٥٢) من قبل سندروز أستاذ فى جامعة الدومينكان فى سولتسوار .

وأنه لابد لكى تفهم ماهو العهدالقديم، لابد أن تتذكر هذه المعلومات المثبتة تماما فى أيامنا هذه من أخصائيين ذوى خبرة رفيعة ، فقد اختلط الوحى بكل هذه الكتابات . ولا نعرف اليوم إلا ما تركه لنا فيه الذين عالجوا نصوصه حسب هواهم ، ووفقاً للظروف التى وجـــدوا فيها

والضرورات التي واجهوها . وعندما نقارن هذه المعطيات الموضوعية مع تلك الموجودة في مقدمات التوراة المختلفة ، والهادفة في أيامنا إلى تبسيطها للناس ، نتأكد من أن الوقائع مسوقة فيها بطريقة متغايرة جدا .

تشويه الحقائق :

إننا لا نزال نجد التباسات تضل القارىء ، وتخفض أهمية الوقائع ، حتى يصل الأمر إلى حد تشويه الحقائق . فقد حرفت كتب بكاملها مرات متعددة من قبل (مثل الأسفار الخمسة) ثم اكتفى بالإشارة إلى ما أسماه تفاصيل قد زيدت من بعد ويقول : من كان يجرؤ على المعارضة أيا كانت لهذا الخليط الذي ظل يعوزه الانسجام حتى نهاية القرون الوسطى. ومع ذلك فقد ظهرت مع نهاية القرون الوسطى حتى بداية الأزمان المعاصرة بعض الانتقادات كما رأينا ، بيد أن الكنائس كانت تنجح دائماً بفرض نفوذها ، وقد ظهر لنا في أيامنا نقد أصيل للنص ، ولكن المختصين به من الأكليركيين أرصدوا كثيرا من الجهود . لفحص خليط من النقاط التفصيلية إنهم لم يظهروا أننا مندفعين لدراستها في ضوء المعارف المعاصرة ، وأننا عندما نعقد مقارنات تاريخية ومعمقةمع الأفكار العلمية نصل إلى الاعتراض على الفكرة التي لم تزل مسلمة في حقيقة الكتابات اليهودية المسيحية .

ورأينا من وحي القرآن

ونقول : إن كل هذا ولاشك يصدق القرار الذي أكد : أن التوراة حرفت وبدلت وغيبت منذ أربع عشر قرناً ، حتى جاء المنهج العلمي المستمد من مفهوم الإسلام : ليقرر زيف وفساد النص الموجود الآن بين الأيدي من الكتاب المقدس، وأنه قد أدخل إليه وحذف منه،

وأنه كما أشار القرآن الكريم « تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » الأنعام : ٩٠ ، وأن الذين يقولون هذا هم علماء مسيحيون متدينون أمثال جاكوب وبوركاى ممن لا يمكن اتهامهم فى مقدرتهم العلمية ولا فى إيمانهم بعقيدتهم .

(٢) مراجعة الأناجيل

ومضى بوركاى فى مراجعة نصوص الإنجيل على النحو الذى فعل مع العهد القديم التوراة) فيقول : ينبغى أن يعرف فيما يخص عشرات السنين التى تلت رسالة المسيح بأن الأحداث لم تجر مطلقا كما قيل فى (الإنجيل) وأن مجىء بطرس إلى روما لم يركز أبدا الكنيسة على أساسها ، بل على العكس لقد شاهدنا خلال أكثر من قرن . بين الفترة التى ترب فيها المسيح هذه الأرض ، وحتى منتصف القرن الثانى معركة بين اتجاهين . بين ما يمكن أن نسميه (بالمسيحية البولسية) و (اليهودية المسيحية) وقد أخذت الأولى بكثير من التدرج مكان الثانية ، فانتصرت البولسية (نسبة إلى بولس) على اليهودية المسيحية .

بحث خاص :

ويشير إلى بحث الكاردينال دانيليو الذى أشار فيه إلى وضع ظهور الأناجيل ، فى وضع مختلف جدا عما يفهم من الأبحاث المخصصة للنشر الواسع . فقط أسقط بولس الختان والسبت ومراسم المعبد ، ولقد كان على المسيحية أن تتحرر من إنتمائها السياسى الدينى إلى اليهودية ، لتنفتح على الوثنيين . أما بالنسبة إلى اليهود المسيحيين وقد بقوا (إسرائيليين أمناء) . فقد كان بولس (خائنا) ولدى اليهود المسيحيين وثائق تصفه بالعدو ، وتتهمه بالازدواجية المراهنة وإلى عام ٧٠ كان هناك يعقوب

ومعه بطرس ويوحنا — منعزلا عن بولس، وكان يعقوب معتبراً كعمود لليهودية — المسيحية ، التى ظلت بفضله مندمجة فى اليهودية فى مواجهة (المسيحية البولسية) .

متى كتبت الأناجيل :

يقول بوكاى : بعد أن نقل هذه النصوص عن الكاردينال دانيليو أنه من المهم أن نعرف هذه الوقائع ، لندرك فى أى جو من النزاع بين الطوائف كتبت الأناجيل ، ولكى نوضح أن النصوص التى بين أيدينا اليوم بدأت بعد كثير من تعديلات المصادر حوال عام ٧٠ فى العصر الذى كانت فيه الطائفتان المتنافستان فى ألد الخصام ، وكان اليهود المسيحيون هم المسيطرون حتى عام ٧٠ ، حيث انقلب الوضع مع الحرب اليهودية وسقوط القدس :

إنقــــلاب :

وحقق بولس نصراً بعد موته وتخلصت المسيحية إجتماعياً وسياسياً من اليهودية — المسيحية المهيمنة ثقافياً . ومنذ عام ٧٠ حتى مرحلة تصل إلى عام ١١٠ ، ظهرت أناجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا فهى لا تمثل الوثائق الثابتة الأولى للمسيحية ، لأن رسائل بولس سابقة جداً عليها . ولما كان بولس لم يعرف المسيح حيا ، فقد برر شرعية مهمته بالتأكيد على : أن المسيح قد ظهر له بعد قيامته على طريق دمشق . فى الوقت الذى كان يمثل فيه الوجه الأكثر مناقشة فى المسيحية . وينظر إليه على أنه خائن لفكر المسيح من قبل أسرته ومن قبل الرسل ، الذين بقوا فى القدس حول يعقوب :

ماذا صنع بولس :

لقد صنع بولس المسيحية على حساب هؤلاء الذين أحاط بهم المسيح نفسه لينشر تعاليمه . ويمكن القول أنه لولا وجود بولس ، لما وصلت إلينا هذه الكتابات التى بين أيدينا الآن ، كتابات القتال ، هذه التى ظهرت فى مرحلة الخلاف والنزاع بين الطائفتين . كما وصف ذلك الأب كنتجسر — فقد برزت هذه الكثرة من الكتابات التى ظهرت عن المسيح عندما كانت المسيحية ذات الأسلوب البولسى (نسبة إلى بولس) قد انتصرت نهائياً .

وقد اختفت الطائفة المسيحية الأولى، وفصلت عن الكنيسة الكبرى التى تحررت من ارتباطاتها اليهودية ، وقضى عليها فى الغرب سريعا .

متى كانت رسمية :

ويؤكد بوكاى : أن الأناجيل الأربعة التى أصبحت رسمية — أى قانونية — عرفت فى وقت متأخر جداً ، رغم أن تحريرها قد أنجز فى مطلع القرن الثانى . وأن القديس جوستنيان نحو سنة ١٥٠ كان يسميها (مذكرات الرسل) وأنه يمكن اعتبار الأناجيل الأربعة ، مذكرات للرسل أو لصحابة المسيح ، ويراد قول الأب كنتجسر الذى يقول : لا ينبغى الأخذ حرفياً بالأناجيل وهى مكتوبة بالمناسبة أو للنضال ، والتى أورد الكتاب خطياً رواياتجماعاتهم عن المسيح) ويقول: لا ندهش إذا نظرنا إلى الأناجيل على أنها تعبر عن الرؤى الذاتية للذين جمعوا الروايات الشفوية الخاصة ، بجماعات مختلفة وانها كتابات المناسبات ، بل نجد فيها كل هذه العيوب التى هى علامة صناعة البشر لها فى مثل هذه الظروف .

الظروف والمناخ :

ويشير إلى ما أورده الأب روجيه فى دراسته عن أنه من الضرورى تقدير الظروف التى كتبت فيها الأناجيل والمناخ الدينى الذى هيمن على ذلك العصر، وأنه من الضرورى الكشف عن تحريفات المؤلفات الأولى — المحققة اعتباراً من الروايات الشفوية — وتغييرات النصوص أثناء نقلها إلينا . والفقرات الغامضة ، وغير المفهومة والمتضادة وغير الحقيقية التى تصل أحياناً إلى حد الاستحالة أو المتناقضة مع الحقائق التى يثبتها فى أيامنا التقدم العلمى .

عودة إلى القرآن

وهكذا يكشف بوكاى الفوارق الواسعة والعميقة ، بين الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وبين القرآن ، ويدلل عن طريق العلم : إن القرآن من عند الله ، وإنه الكتاب الوحيد الذى حفظ نصه . فلم يعتوره أى تغيير ، فضلا عن أن عرض القرآن لشئون الخلق يكشف عن أنه ليس من عمل البشر ، ويشير إلى أن الأرقام التى قدمتها التوراه عن ظهور الإنسان على سطح الأرض غير صحيحة .

يقول : إننا نجهل مثلا التاريخ التقريبى لظهور الإنسان على الأرض ، ولكننا اكتشفنا آثار أعمال إنسانية ترجع دونما ريب إلى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، فلا يجوز إذن إعتبار النص التوراتى لسفر التكوين كما لو كان صحيحا . إذ يذكر السلالات البشرية والتواريخ التى تحدد بداية الإنسان (خلق آدم) إنها ترجع إلى سبعة وثلاثين قرناً قبل المسيح وبإمكان العلم أن يقوم فى المستقبل بتدقيقات فى التأقيت أعظم من تقديراتنا الحالية ، ولكننا نستطيع أن نكون واثقين ، بأننا لمن نثبت

أبدا أن الإنسان ظهر على سطح الأرض منذ ٥٧٣٦ سنة ، كما شاء التقويم العبرى - كتب المؤلف كتابه سنة ١٩٧٥ - إن معطيات التوراة المتعلقة بالإنسان إذن خاطئة .

الموقف يختلف :

ويقول : وعندما أتجه إلى القرآن يختلف الموقف ، وقد قمت بتدقيق النص العربى بإمعان شديد ، فاستبان لى منه أنه : ليس فى القرآن تأكيد يمكن أن ينتقد عليه — من الوجهة العلمية فى هذا العصر الحديث .

وبعد أن يطعن بوكاى فى تقديرات تاريخ خلق العالم ، وظهور الإنسان على الأرض . والمسافات التاريخية التى أوردها الكتاب المقدس بين آدم وإبراهيم ، ومن إبراهيم إلى المسيح ، يكشف عن معطيات القرآن الكبرى فى هذا المجال .

الفــــرق :

يفرق بوكاى باجتهاد علمى ، وبعد قراءة تفاسير عدة من القرآن :

أولا : بين كلمة يوم فى القرآن ويوم فى التوراة . وهى فى التوراة تعنى المسافة الزمنية بين شروق الشمس وبين عودتها إلى الشروق أما فى القرآن : فهى تعنى المرحلة الممتدة فى عملية الخلق على النحو الذى أوردته سورة السجدة « الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون . يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » السجدة : ٤ ، ٥ .

اليوم فى حساب القدرة وحساب البشر :

إذن اليوم عند الله لا يمكن أن يكون مما نعده نحن ، بل هو يوم مجهول ، كنا نستطيع أن نسميه بلغتنا الأراضى « فترة زمنية » ، وإذا فكرنا قليلا ، نجد : أن اليوم عندنا بدأ بعد خلق السموات والأرض ، لأنه ناتج من حركة دوران الأرض حول نفسها ، ولم يكن هذا اليوم موجوداً قبل الخلق، إذن الأيام عندنا تختلف عن الأيام عند الله .

وفى سورة المعارج (الآية الرابعة) :

« فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » فإذا أخذنا هذه النتيجة تدل كلمة يوم على فترة زمنية تختلف عن تلك التى نسميها نحن الآن يوماً .

ثانياً : يشير إلى أن الحالة الغازية للسماء والأرض التى توصل إليها العلم الحديث ، قد سجلتها آية القرآن قبل أربعة عشر قرناً .

« ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها » فصلت : ١٢ — ١٣ .

ثالثاً : يشير إلى ظاهرة انفصال الأرض عن الشمس : فى آية «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » الأنبياء : ٣٠ .

رابعاً : يشير بوكاى إلى أن عدداً من الحقائق العلمية المعروفة الآن ، جاء بها القرآن: تعدد السموات وتعدد الكواكب، وأن أحدث النظريات العلمية التى ما زالت محل بحث : هى أن هناك كواكب متعددة فى الفضاء ومجموعات شمسية متعددة تشابه المجموعة الشمسية للأرض ، وهو ما لم يكن

ممكننا أن يصل إليه بشر أبداً وقت نزول القرآن .

خامساً : حدد القرآن ثلاث مجموعات من المخلوقات :

١ — التي توجد في السماء .

٢ — التي توجد في الأرض .

٣ — التي توجد بين السماء والأرض .

ولكي نفهم عبارة الخلق الموجودة بين السموات والأرض ، يجب الاستعانة بأحدث الملاحظات البشرية عن وجود (مادة كونية) خارج المجرات ، وهذه المادة ماتزال في دور الاكتشاف ، كما أنه قد اكتشف خارج المجرات تكتلات ضخمة من النجوم .

ويقول بوكاي : أن هذا الاكتشاف العلمي قد تم منذ خمسين عاما تقريباً ، إذ أمكن تمييز مجرات منعزلة موجودة ، لم يكن الإنسان يعرف عنها شيئاً ، كما وصل علماء الفلك إلى تعدد العوالم المخلوقة في هذا الكون ، أي أنها ليست سماء واحدة ولكنها عدة سموات .

كما أن عملية تكوين الشمس قد تمت من خلال تكاثف الغازات الأولى ثم انفصالها ، وهو ما يعبر عنه القرآن الكريم « كانتا رتقا ففتقناهما » .

سادساً : أشار بوكاي إلى التفرقة القرآنية الدقيقة ، بين وصف القرآن للشمس بأنها ضياء والقمر بأنه نور ، وقال إن هذا الوصف لم يرد في التوراة التي وصفت الشمس والقمر بأنهما منيران ، ولم يميز بينهما ، ولكن القرآن أكد أن الشمس والقمر ليسا منيرين بطبيعة واحدة ، وقد تبين أن القمر يعكس ضوء الشمس الذي يستقبله . وهذا لم يكن معروفاً وقت نزول القرآن : والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد فيه شيء كان سائداً في عصر نزوله ثم أصبح وهماً ، بل على العكس .

هذا بعض ما أورده بوكاى ، فى أسبقية القرآن الكريم لحقائق العلم الحديث ، وبعده فى نفس الوقت عن تقديم تقريرات اختلفت مع العلم ، مثل ما قدمت التوراة ، ولا ريب أن كتاب بوكاى خطوة على طريق الله الحق ، الذى يكشف عن طريق العلم يوما بعد يوم ، تلك الحقائق التى توحى بأنه من عند الله ، والتى تقرر وحدانيته وقدرته وإحاطته بكل ما فى الوجود من مخلوقات ، وهذه الكتابات نزر يسير من العلامات التى تقيم الحجة على المعطلين والماديين وتكشف فساد النصوص الباطلة التى تحتج بها الصهيونية فى دعواهـــا الزائفة كما سنبين فى الفصول التالية إن شاء الله .

(٢)

الأريوسية الجديدة

منذ وقت بعيد وعلى ألسنة عدد من العلماء والباحثين المسيحيين تتردد الدعوة إلى إعلان بشرية المسيح وبشريته للخالق تبارك وتعالى ، ومعارضة ما تردده التفسيرات المسيحية التي تتحدث عن مايسمى بألوهية السيد المسيح .

ولقد ظلت هذه الدعوة خافتة حتى جاءت ظاهرتان خطيرتان فى الأيام الأخيرة ، إحـــداهما ذلك الكتاب الذى صدر فى باريس تحت إسم :

« أسطورة تجسيد الله » ، والذى كتبه سبعة من كبار رجال الكهنوت يعلنون فيه إنكار ألوهية السيد المسيح ويقرون ببشريته فقط. أما الأمر الآخر ، فهى تلك المخطوطات التى اكتشفت فى كهف «قمران» والتى تثبت أن السيد المسيح نبى مرسل من عند الله ، وليس إلها ولا ابن إله ، وإنما هو بشر إختاره الله تبارك وتعالى ، واصطفاه بالنبوة وأرسله لبنى إسرائيل .

وترجع نسبة الأريوسية إلى أريوس الأسقف المصرى، الذى عارض محاولات تفسير الديانة المسيحية ونسبتها إلى مفاهيم قديمة بالتثليث أو ما يسمى « بالطبيعة المزدوجة » ، وكلها مذاهب وفلسفات قديمة كانت قبل المسيحية ، وكان أن اقتبسها بولس فى تفسيراته للمسيحية ، وبها نقلها من الديانة الربانية السماوية إلى ديانة بشرية ، ويقرر الأستاذ رشعة سليم الخورى فى وصيته (تموز ١٩٧٧) ، أن الكنيسة المسيحية ظلت حتى القرن الرابع الميلادى تعبد الله على أنه الواحد الأحد ، وأن يسوع المسيح عبده ورسوله حتى تنصر قسطنطين عاهل الروم وتبعه خلق كثير من رعاياه اليونان والرومان ، فأدخلوا عليها بدعة التثليث ، وجعلوا لله سبحانه وتعالى أنداداً شاركوه منذ الأزل فى خلق السموات والأرض

وتدبير الأكوان، ومالاهم الأسقف الانطاكى مكاريوس الذى لقب نفسه أرثوذكس (أى مستقيم الرأى) ، فثار زميله الاسقف أريوس على هذه البدعة ثورة عنيفة، شطرت الكنيسة واتسع بين الطائفتين نطاق الجدل حتى أدى إلى الاقتتال ، فانعقدت المجامع للحوار وفاز أريوس بالحجة القاطعة فوزاً مبيناً . بيد أن السلطة التى هى أصل البلاء ، وضعت ثقلها فى الميزان فأسكتت صوت الحق ونفذت الباطل ، واستمر المسيحيون يعمهون فى ضلالتهم والحق يتململ فى قيده منتظراً أريوساً جديداً يعيده إلى نصابه .

وكانت صيحة الشاعر القروى ، تتمثل فى قوله : « لكم أتمنى وأنا الأرثوذكسى المولد ، أن يكون هذا الأريوس بطريركا أرثوذكسياً بطلا ، ليصلح ما أفسده سلفه القديم ، ويمحو عنا خطيئة ألصقها بنا غرباء غربيون ، ولطالما كان الغرب ولا يزال مصدراً لمعظم عللنا فى السياسة ، وفى الدين على السواء » .

هذه هى صيحة الضمير التى هزت من الأعماق ، كثيراً من المسيحيين المثقفين والعلماء ، وفى مقدمة هؤلاء الخمسة ، نفر من رجال الكهنوت الذين أصدروا كتابهم الذى هز الحياة الفكرية والاجتماعية فى أوربا هزاً عنيفاً، إذ أن هذه الصيحة إنما جاءت بعد ارهاصات كثيرة متعددة ، سبقها ظهور فئة من رجال الدين فى اليونان ترفض القول بألوهية المسيح .

وسبقها ظهور كتاب لأستاذ فى جامعة « السربون » ، هو الأستاذ شارل كينيير، وسبقه ماأعلنه القس دافيد إدواردز، من كنيسة وستمنستر أما هؤلاء الخمسة، ففى طليعتهم القس موريس ولز ، رئيس لجنة المعتقدات فى كنيسة إنجلترا ، وأستاذ الإلهيات فى جامعة اكسفورد ، وكلها تتبنى الرأى الإسلامى القائل بأن السيد المسيح لم يتخذ لنفسه طابع الالوهية ، وإنما جعل إلها فيما بعد بتأثيرات وثنية فى أوائل القرون الأولى للمسيحية،

وتقرر هذه الآراء فى مجموعها كما لخصها الدكتور معروف الدواليبى ، بأن القول بألوهية المسيح وبالتثليث وبأنه ابن الله ، لم يعرف شىء من ذلك فى حياة المسيح نفسه ، وتجزم هذه الآراء فى مجموعها بأن القول بأن المسيح ابن الله وإنه إله وانه واحد من ثلاثة ، إنما هو صورة للعقائد الوثنية فى الهند والشرق الأقصى ، نقلت إلى أوربا وخاصة إلى روما فى هجرات الشعوب « الهندو أوربية » ثم أدخلت فى عهد الإمبراطورية الرومانية على الديانة المسيحية ، لتحل فى شكلها الجديد محل عقيدة التثليث فى عقائد روما الوثنية من غير تبديل إلا فى الأسماء ، وهذا هو ماسهل على الروم بعد ذلك قبول المسيحية فى نفس روما الوثنية من غير تبديل إلا فى الأسماء وهذا هو ما سهل على الروم بعد ذلك قبول المسيحية فى نفس شكل الوثنية عندهم ، وكل ذلك كان مجهولا فى بلاد المسيح خاصة ، وقد أرسل المسيح إلى بنى إسرائيل ولم يكن لديهم حينذاك شىء من ذلك بل كانوا موحدين » .

فإذا أضفنا إلى هذه الظاهرة ظاهرة أخرى أشد قوة، هى أن مخطوطات قديمة ظهرت فجأة فى كهف قمران ، وكلها تؤكد بشرية المسيح وتنفى عنه الألوهية ، وأن هذه المخطوطات مكتوبة فى القرن الأول للسيد المسيح ، عرفنا إلى حد — يتجلى اليوم — هذه الحقيقة التى ظلت مطموسة أكثر من ستة عشر قرنا — أى منذ عقد مؤتمر نيقه عام ٢٥٠ ميلادية ، وكان السيد المسيح إله وابن إله مخالفاً بذلك كل النصوص والوثائق والكتب الموجودة فى ذلك العهد .

ولقد كان من أخطر الأحداث : ذلك الكشف الأثرى الخطير الذى وقع عام ١٩٤٧ ، على شاطىء البحر الميت ، عند ما عثر أحد البدو حينما ضلت عنزاته ، فاهتدى فى أحد الكهوف على تلك الجرار الغريبة التى

تشتمل على مخطوطات دينية أذهلت العالم المسيحى بأسره . وقد أطلق عليها كشوف شاطىء البحر الميت ، أو خربة قمران التى تقع جنوب مدينة أريحا (ثمانية أميال).

وقد عرف من بعد ، أن هذه الكتابات مما لا يقدر بثمن ، لأنها ألقت الضوء على مرحلة خطيرة من تاريخ المسيحية وتاريخ السيد المسيح نفسه ، التى كتبت قبل مولد السيد المسيح بسنين طويلة ، وقد أسرعت بعثات الجامعات والفاتيكان إلى الحصول على هذه الملفات أو أجزاء منها ، وأنفقت الحكومة الأردنية خمسة عشر ألف دينار فى سنة واحدة لشراء هذه المخلفات الأثرية العظيمة ، وقد أجريت فحوص دقيقة على هذه المخطوطات من قبل مؤتمر للمستشرين عقد فى باريس ، أثبتت فيها أنها وثائق حقيقية لا زيف فيها ولا تلاعب ، وقد وصفها واحد من أعظم علماء الآثار من المتخصصين فى آثار التوراة ، هو الدكتور البرايت من الولايات المتحدة بقوله :

« أنها أعظم اكتشاف للمخطوطات فى العصر الحديث ، وأفضل تاريخ يمكن أن تكون قد كتبت فيه مائة سنة قبل الميلاد بالحساب التقديرى المعروف الآن » . وقد تبين كما يقول الدكتور صبحى الدجانى : أن هذه الملفات كتبت بأيدى كتبة فى « دير الاسينين » ، الذى ما زالت خرائبه وأطلاله وبقاياه بادية للعيان إلى يومنا هذا . على مقربة من الكهوف الذى اكتشفت فيه أول مجموعة من هذه الملفات ، هؤلاء الاسينيون ، كانوا طائفة يعتقدون أنهم ورثة عهد النبوة ، وكانت طقوسهم وتعاليمهم وثيقة الصلة بتعاليم الدين المسيحى ، وقد أودعوا جميع ما عندهم من ملفات فى الكهوف . عند ما فروا ليأمنوا شر الاضطهاد الرومانى الذى كان واقعاً عليهم فى ذلك الحين .

ويقول العلماء ، أن السيد المسيح عليه السلام ، ربما يكون واحداً من هؤلاء الاسينيين . وأنه كان متأثراً إلى حد بعيد بطقوسهم وعقائدهم ، وكان الاسينيون يعتبرون ثروتهم حصة مشتركة بينهم . وأنهم يعتقدون بخلود الروح ؛ وتتحدث نصوصهم عن واحد منهم يعلو كثيراً ويسمونه « السيد الأكبر » المدهون بالزيت ، أو المسيح الذى اختاره الله ، وتتحدث وثائق الاسينيين الذين كانوا يقيمون فى الدير على مقربة من البحر الميت ، أنهم كانوا يشعرون بتسام روحى ، له شكر موجه إلى الله تبارك وتعالى الواحد الأحد .

وتتحدث الوثائق عن حياة هذا السيد بما يشبه حياة السيد المسيح ، وقد استقرت فى الأذهان فكرة مؤداها أن هذا السيد أو المعلم هو الذى كان ينزل عليه الوحى . ويقول (ج . ل . تيدنر) أحد أساتذة كمبردج . أنه فى أحد المراجع الأساسية فى ملفات البحر الأسود : ان معلم البر والتقوى الذى يتحدث عنه الاسينيون ، هو نفسه يسوع المسيح ولا أحد غيره ، ويقول جون كلارك ، صاحب بحث ضاف عن الوثائق أنه من الممكن أن المسيح قد عاش قبل مائة سنة قبل التاريخ الذى أجمع الناس عليه حتى الآن ، وأن فى ذلك جواب مقنع للذين طالما أعربوا عن شكوكهم فى الأدلة التاريخية الواردة عن مولد السيد المسيح لأنها قليلة ومليئة بالمتناقضات .

ويقول إبراهيم مطر : أن هذه المكتشفات قد اقتضت دراسة استمرت سنوات طويلة ولا تزال ، ويعتقد العلماء أنه نزحت جماعة من الناس المحبة للعزلة إلى تلك التلال الواقعة بجوار البحر الميت ، فراراً من المدن الصاخبة ، سكنت هذا الغور المقفر عند طرف الصحراء الموحشة ، فالتجأت إلى نظام رهبانى شديد وحياة مشتركة شاملة .

وقد هزت هذه المكتشفات الأوساط المسيحية والغربية ورجال الآثار ، حيث وجدت أدراج وأطمار ومخطوطات متنوعة وقطع من النقود الوفيرة والأوانى المطبخية والجرار الفخارية ، كما عثر على مختلف أسفار العهد القديم ما عدا سفر (استير) ، فضلا عن بضعة آلاف من المخطوطات المتنوعة ذات القيمة التاريخية والأثر العظيم ، وحملة القول أن كشوف كهف قران تؤكد وجود السيد المسيح البشر النبى المرسل إلى اليهود .

وقد استتبع هذا الكشف ، هجرة عدد من علماء اللاهوت المسيحيين لدراسة هذه المخطوطات ، وقد نشرت مجلة (تايم) ، فى عددها المؤرخ ـ ١١ نوفمبر ١٩٦٦) ، بحثاً مطولا تحت عنوان (إنقلاب أو ثورة أجراها القس المسيحى ستار بايك) ، وقد صدرت غلاف المجلة صورته ـ وهو قس أمريكى قالت المجلة أنه يتسم لا بالجمود الفكرى ولا بالجمود العقائدى بل بالبحث عن الحقيقة ـ وكان قد ذهب بعد ذلك وفقد هنالك . وألفت زوجته كتاباً فى البحث عنه . ويقول الأستاذ محمد عزه دروزه : أن البحث قد كشف عن أن فرقاً من النصارى ظلت محافظة على عقدة التوحيد ، وظلت لبعضها أتباع كثيرون حتى أواخر القرن السادس الميلادى ، ثم انقرضت كلها بعد ذلك بسبب اضطهاد الدولة الرومانية بعد أن قضت على عقيدة التوحيد واعتنقت عقيدة التثليث رسمياً فى مؤتمر نيقه ٣٢٥ ، ومن أهم هذه الفرق (الاريسيون) ، وهم أتباع أريوس واليه ينسبون ، والمعروف أن أريوس كان قسيساً فى مدينة الاسكندرية فى أوائل القرن الرابع الميلادى ، وكان داعياً قوى التأثير فى سامعيه ، واضح الحجة جريئاً فى المجاهرة برأيه ، وقد قاوم وقتئذ ما ذهب إليه بطريرك الاسكندرية (مكاريوس) ، من القول بألوهية المسيح وبنوته لله ، إذ قام

أريوس يقرر ويعلن أن المسيح ليس إلها ولا إبناً للإله ، وإنما هو بشر مخلوق ورسول الله ، وأنكر كل ما جاء فى جميع الكتب الأربعة (أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا) وما ألحق بها من رسائل .

وهناك فرقة ميلتوس ، وكان قسيساً فى كنيسة أسيوط . يرى ما يراه الأريسيون من أن المسيح عليه السلام ليس إلها ولا إبناً للإله ، وإنما هو بشر رسول ومخلوق .

وقد ذكر ابن البطريق فى تاريخه وهو من رجال القرن الثالث الهجرى، وكان من مترجمى الخليفة المأمون قال فى بيان مذهب أريوس : إنه كان يقول أن الأب وحده هو الله ، وأن الإبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب حينما لم يكن الإبن . وقد تبعه مشايعون كثيرون ، وكانت كنيسة أسيوط على هذا الرأى وعلى رأسها ميلتوس. وكان أنصاره فى الاسكندرية نفسها ، وتبعه خلق كثير فى فلسطين ومقدونية والقسطنطينية ، وحكم عليه بالطرد من الكنيسة فى مجتمع نيقة ٣٢٥ ، وتكفيره بعد أن أصدر ذلك المجمع قراره بألوهية المسيح . وهناك بولس الشمشاطى ، تحدث عنه ابن حزم فى كتابه « الفصل بين الملل والأهواء والنحل » ، وكان يقول « وإن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله فى بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا ألوهية فيه » . وقد أشار القرآن إلى تلك الفرق النصرانية التى حافظت على عقيدة التوحيد النقى وانقرضت قبل ظهور الإسلام ، وأثنى عليها القرآن وحكم بنجاة أفرادها من العذاب .

« ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر » الآية من سورة آل عمران : ١١٢ — ١١٣ .

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله

واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم » الآية من سورة البقرة : ٦٢ .

« وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب » الآية من سورة آل عمران : ١٩٩ .

وقد أثبتت الأبحاث الجادة أنه بتقليب « الكتاب المقدس » ، يتبين أنه لايوجد به أي شيء من عقائد النصارى الحالية ، أى لا يوجد فيها قصص الأب والإبن والثالوث ، وألوهية المسيح وصلبه أو موته وقيامته ، أو المعمودية بمفهوم النصرانية للغفران من خطيئة آدم ، أو مايشير إلى اتحاد الإبن الأزلى بالأب ، أو ماشابه ذلك » .

وأن عقائد النصرانية المشار إليها ، لا توجد فى أقوال المسيح ولا فى أقوال تلاميذه الذين آمنوا به وسمعوا عنه تعاليمه ، مما يعتقد معه أن مسائل التثليث وتأليه المسيح وتأليه روح القدس أمور لا أصل لها فى كتب الله وفى جوهر الديانة ، ولكنها أمور مخترعة ، بعضها اخترع بمعرفة بولس : الذى كان عدواً للمسيح وأتباعه فى أول أمره ، كما أن المسيح لم يختره من تلاميذه ، فضلا عن أنه لم ير المسيح ولم يسمع منه مواعظه . وبعض الأمور اخترع بمعرفة آباء الكنيسة ومجامعها المسكونية فى القرون التالية للمسيحية ، وأن بشارات الأنبياء التى أعلنت مجىء المسيح فى العهد القديم ، ما ذكرت عنه إلا كونه نبياً من البشر دون أى إشارة إلى أنه سيقتل أو يصلب .

وتقول دائرة معارف لاروس : أن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصيته وسمعوا قوله . كانوا أبعد الناس فى الاعتقاد بأنه أحد

الأقاليم الثلاثة المكونة لذات الخالق ، وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكبر من رجل يوحى إليه من عند الله . وأشار هربرت ولز إلى أن هذه المبادىء والشعائر موضوعة ولا سند لها فى الأناجيل ، ومن العسير أن نجد أية كلمة تنسب فعلا إلى المسيح ، فسر فيها مبادىء الكفارة والفداء ، أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء ربانى .

ويقول إن كلمة : « أقنوم » ، لا وجود لها حتى فى تلك الأناجيل أو الرسائل الملحقة بها ، بل ولا فى العهد القديم .

وقد كشف الباحثون بما لايدع مجالا للشك ، بأن المطلع على الأناجيل الثلاثة الأولى المنسوبة إلى متى ومرقص ولوقا يجد أنها لا تحوى أية إشارة عن التثليث أو ألوهية المسيح أو ألوهية روح القدس أو عقيدة الفداء ، وهى تجسد الإبن ، وتظهره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً لخطيئة آدم ، كما يزعمون .

أما ما جاء فى ألوهية المسيح فقد جاء بانجيل يوحنا ، وهذا الإنجيل لايسلم به محققو النصرانية ، فعلماء النصرانية فى أواخر القرن الثانى الميلادى ، أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى ، وهذا يقطع بأن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا مزور النسبة إلى يوحنا الحوارى .

وقال العالم استاولن ، فى العصور المتأخرة (لعله صاحب كاتالك المجلد ٧ المطبوع ١٩٤٤) أن كافة إنجيل يوحنا ، تصنيف أحد طلبة مدرسة الاسكندرية فى ذلك الوقت : تلك المدرسة التى اعتنقت مبادىء الثالوث وألوهية المسيح والروح القدس وبشرت بها ، جاء ذلك فى دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تأليفها ٥٠٠ من علماء النصرانية ما نصه : أما إنجيل

يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور ...

يقول : اكهارن ، فى مقدمة أبحاثه ، إن كثيراً من العلماء كانوا شاكين فى الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا ، لذلك كان من التجوز إضافة مجموع العهد الجديد إلى الله أو إلى المسيح ، بل إنه يضاف إلى مصنفه فقط كما يقال حاليا : إنجيل كذا ورسالة كذا .

كذلك فإن المسيح ما جاء أساساً إلا لشعب اليهود ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإلى ترك ما هم فيه من شرور وآثام ، وقد ورد فى (إنجيل متى اصحاح ١٥) ، لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة . وقد دعا المسيح تلاميذه الإثنى عشر إلى تبشير بنى إسرائيل فقط ، لذلك لم تكن رسالة المسيح إلا رسالة قومية يهودية أى لقومه من اليهود ، وليست رسالة عالمية كما يزعم الرهبان والقساوسة حالياً ، بل أن هذا من مخترعاتهم التى لا أساس لها. والإشارة السابقة تؤكد هذا النظر ، ذلك أن هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالجرى إلى خراف بنى إسرائيل الضالة ، وقد حسم القرآن الكريم الموقف فى قوله تعالى : (ورسولا إلى بنى إسرائيل) .

وقد أدلت مجلة تايم (فبراير ١٩٧٨) بحثا هاما اشتغلت به دوائر جامعات وكنائس العالم الغربى ، وهو : ظاهرة الدعوة إلى إنسانية المسيح أو بشرية المسيح . والمعارضة لألوهية المسيح فقالت : أن موجة الرفض لفكرة ألوهية السيد المسيح ، أو ازدواج طبيعته تزداد قوة وانتشاراً فى أوساط المفكرين اللاهوتيين . سواء فى الجامعات أو فى الكنائس الغربية. وهؤلاء الرافضون يعلنون أنه لا توجد فى الإنجيل، ولم يثبت عن السيد المسيح القول بألوهيته . ويؤكدون أنه عليه السلام بشر عادى ، وتقول مجلة تايم : إن

هؤلاء الرافضين يمثلون مجموعة دولية تطالب الكنيسة الكاثوليكية باتخاذ موقف شجاع فى هذه القضية .

فإذا عرفنا أن مخطوطات كهف قمران . قد أهيل عليها التراب بعد قليل وحجبت عن البحث الحر ، ومات القس الذى ذهب إلى هناك ، ولم يستطع أحد التوصل إلى شىء . عرفنا إلى أى مدى تحاول دوائر الغرب مواجهة الموقف على طريقة النعامة التى تدفن رأسها فى الرمال ، ولكن إلى متى ، فإذا أضفنا إلى هذا كله ما أعلنه دكتور بوكاى فى كتابه، عن زيف النصوص الموجودة فى العهد القديم عن خلق الكون وغيره، عرفنا إلى أى حد تتهاوى هذه الكتب . ذلك أن الكتب القديمة تواجه تحدياً خطيراً نتيجة بروز منهج العلم والبحث العلمى القائم على التجربة والنظر والمقارنة ، وقد جاءت الكشوف الأثرية فى السنوات الأخيرة فكشفت عن زيف كثير من دعاوى الصهيونية عن إبراهيم وإسماعيل ، وتجاهلها وحجبها لرحلتهما إلى الحجاز وإعادة بناء الكعبة .

ويقول رودلف بولتمان أستاذ علم اللاهوت فى جامعة ماربورج (المدينة الألمانية العتيقة) أن العهد الجديد (أى الإنجيل) ، يجب أن يجرد من العناصر الميثولوجية (الأسطورية) ، التى فيه إذا كنا نريد لهذا الكتاب المقدس أن يعنى شيئاً حقيقياً ما بالنسبة إلى الرجل العادى اليوم ، ويقول : ان عالم الأناجيل تبدو فى نظر الرجل المعاصر مختلفاً عن عالمنا إختلاف المريخ عن الأرض ، فالكون فى العهد الجديد أشبه ما يكون ببيت مكتظ .

ويقول : إن لغة الميثولوجيا التى كانت ذات مغزى فى أيام العهد الجديد ، والمستمدة من الدرجة الأولى من الغنوصية الإغريقية والرؤية النهوية (كرؤيا يوحنا وما إليها) . ويعتقد أننا لو توقعنا من العصريين من الناس الإيمان بذلك كشىء حقيقى ، يكون توقعنا هذا عملا أحمقاً .

وهكذا نرى أن البحث العلمى الغربى أصبح ينظر إلى الكتاب المقدس من كل النواحى ، التاريخية والأثرية والعلمية ، نظرة مغايرة لنظرة التسليم القديمة التى كانت تقوم على الإيمان أولا ثم التفكير ثانياً، وهنا يبرز مدى الخلاف بين القرآن الكريم الذى يقوم على البرهان والدليل وتقديم سنن الله فى الكون والأمم والحضارات ، والتأمل فى خلق الله والنظر فى الكون لتكون وسيلة إلى الإيمان بالله ، دين هذا الأسلوب .

ومن هنا نرى أن الشاعر القروى : رشيد سليم خورى ، وقد تفتح قلبه على هذه المعانى وقال : إنه كان ينوى إعلان إسلامه ولكنه رأى أن يقوم بدور هام فى المسيحية ، يكون قد قدمه لإخوانه أدباء النصرانية ، وتلك عبارته : وهو أن أصحح خطأ طارئا على ديننا ، قررت أن تكون الخطوة الأولى فى إيقاظ (الأريوسية الموحدة) من رقادها الطويل ، حتى تزول العقبة المفتعلة بين الإسلام والنصرانية . وقال إنى أعلن عزوفى عن أرثوذكسيتى إلى الأرثوذكسية الأريوسية، ومطالبة الأرثوذكسية بالعودة إلى أصلها التوحيدى الفطرى ، إلى الجناح الذى يمثله «أريوس» الذى رفض التثليث ، ويقول :

لكم أتمنى أنا الأرثوذكسى المولد ، أن يكون هذا الأريوس بطريركياً أرثوذكسياً بطلا ، ليصلح ما أفسده سلفه القديم . ويمحو عنا خطيئة ألصقها بنا غرباء غربيون ، ولطالما كان الغرب ولا يزال مصدراً لمعظم عللنا فى السياسة وفى الدين على السواء

هذه الأريوسية التى ذكرها الشاعر القروى ، والتى تتردد الآن على ألسنة الباحثين اللاهوت ، هى التى أشار إليها الرسول ﷺ فى كتابه إلى قيصر الروم ، حين وجه إليه الدعوة إلى دخول الإسلام ، حين قال :

« فإن أبيت فعليك إثم الأريسيين » . وقد حاول مفسرو الحديث تفسيرها فقيل ، إنهم العشارون أو الأكارون أى ، الفلاحون أو الحراثون ، وقيل الضعفاء والأتباع أو أهل المكوس، وبمراجعة كتب الرسول ﷺ إلى المقوقس وكسرى والنجاشي ، نجد أن العبارة ترد هكذا : وإلا فعليك إثم القبط ، إثم المجوس ، إثم النصارى من قومك .

فهى تحمل الملوك تبعة أهل دينهم ، ولم يرد فيها أى ذكر للفلاحين أو الأكاريين وهكذا وصل الدكتور الدواليبي إلى أن الخطاب حمل هرقل تبعة أهل دينه وخاصة الاريسيين (أتباع أريوس) ، ممن ثبت أنهم كانوا الفئة العالية لدى الروم ، وانهم كانوا يؤمنون ببشرية المسيح وينكرون ألوهيته، والتثليث والحلول، وإنهم كانوا يكرهون على القول ضد ذلك وإلا فالقتل والتكفير والتحريق لهم ولكتبهم ومعابدهم ، وهى تعنى فى كتاب النبى ﷺ ، أن فى رهط هرقل فرقة تعرف بالأريوسية ، فجاء النسب إليهم كما أورده ابن الأثير حين قال : « قوله » .

الأريسيين وهو جمع أريسي وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل . وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، خبر أريوس عن كتب النصارى أنفسهم حينذاك، كما قال : « إن التابعين لأريوس والقائلين بمقالته قد سموا أريوسيين » ، مشتقاً من إسمه ، وكان أريوس من كبار رجال النصرانية من أهل الأسكندرية ولد ٢٨٥ ، بعد الميلاد وتوفى ٣٣٦ ميلادية ، وكان معاصراً لقسطنطين وقد وقف بكل قواه ضد قرارات المجمع المسكونى الأول، الذى دعا إليه قسطنطين ، والذى تبنوا فيه « وثنية » روما فى شكل مسيحى فى اجتماع لرجال الدين ، ضم نحو ألفين وخمسمائة رجل ، حيث رفضت أناجيلهم التى بلغت المائة ، ومنها إنجيل الحوارى « برنابا » ولم يقبل منها غير الأربعة المعروفة اليوم ، والمقبولة فقط من قبل نحو مائتين من أصل الحاضرين الذين بلغ عددهم نحواً من ألفين وخمسمائة رجل، وهكذا ولدت

الديانة الجديدة الكاثوليكية منذ ذلك التاريخ فى مطلع القرن الرابع بقرار من نحو مائتين من كهنوت الروم مدعمين بسلطة قسطنطين ، ولم يسمح بعد ذلك بالاعتماد على واقع المسيحية وتاريخها السابقين أو على أحد أناجيلها الباقية والبالغة « ٩٦ إنجيلا » . وقد عارض أريوس بكل عنف قرارات المجمع المسكونى بألوهية المسيح وبعقيدة التثليث ، معلناً بشرية المسيح ، مجاهراً بأن الله واحد ومنزه عن الحلول بأحد وقد هزت وقفته الجبارة هذه الامبراطور قسطنطين نفسه ، لذلك عقد المجمع الثانى ممن قالوا بألوهية المسيح والتثليث وبنوة المسيح لله فقط ليناقشوا أريوس فيما يدعو إليه ولكن أريوس ظل كالطود فى عقيدته ، فحكموا عليه بالنفى وأخذوا يتكلون بمن كان يقول بقوله ، ويحرقون أناجيلهم وكنائسهم ، حتى أرغموا النـــاس على التظاهر بقبول العقيدة الكاثوليكية ، وقد كان فى الامبراطورية الرومانية ثلاثة بطاركة فى « استنابول » وانطاكية والاسكندرية ، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيميه عن كتبهم فى كتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » فقال : إنه كان إذا عين الإمبراطور بطرقا فى هذه المدن الثلاث ، لا يلبث أن يظهر لهم أنه (أريوسى) ، فيقتل أو يطرد ، وينكل به وبأصحابه . حدث هذا وظل مستمراً حتى جاءت دعوة الإسلام ، وكتب الرسول ﷺ إلى هرقل يقول : « فإنى أدعوك بدعاية الإسلام : أسلم تسلم فإن توليت فعليك إثم « الاريسيين » . وهكذا ارتفع صوت رسول الإسلام لحماية الأريسيين من مذابح الكاثوليكية ، ومهد لدعوة الإسلام بالقبول الفورى لدى النصارى فى كل من سوريا ومصر من بعد .

وقد ظل تاريخ الأريوسية مجهولا ، كما يقول الدكتور الدواليبى . الذى نقلنا عنه هذه النصوص التاريخية ، حتى جاء اليوم الذى يتحدث فيه كتاب الغرب من لاهوتيين وغيرهم ، عن هذه الدعوة التى وأدتها الكاثوليكية .

وبعد أن كشفت الأبحاث العلمية ومفاهيم الإسلام المنقولة إلى الفكر الغربي عن فساد التفسيرات التى أضافها بولس وغيره إلى حقيقة الدين المنزل على السيد المسيح ، وأنها معارضة للفطرة ولسنن الله فى الكون والمجتمعات .
وعلت اليوم الصيحة التى سوف تجتاح فى السنوات القادمة كل ذلك الركام البشرى دعوة « بشرية المسيح » ووحدانية الله من غير حلول ولا تثليث .

(٣)

الحـــوَارُ

جرت فى السنوات الأخيرة لقاءات متعددة فى عواصم عديدة فى العالم العربى والعالم الإسلامى ، استهدفت ما أطلق عليه : الحوار بين المسيحية والإسلام ، كما كانت الفاتيكان بخاصة والغرب بعامة هما الداعون لهذا اللقاء، ولم تكن هذه الدعوة التى ظهرت فى أول العقد الثامن من هذا القرن الميلادى ، هى الأولى من نوعها ، فقد سبق أن قامت جهود فردية لمثل هذه اللقاءات وشارك فيها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وبعض أساتذة الأزهر .

وكان الموقف من جانب المسلمين سمحاً كريماً ، ينطلق من إيمان المسلمين بالأديان كلها ، وسماحة التعامل معها والعقود التى عقدها الرسول ﷺ وعمر بن الخطاب لأهل الذمة وحماية كنائسهم ومعابدهم ، وحماية حرية معتقداتهم إنطلاقاً من نصوص القرآن الكريم ودعوته، واستمراراً من مفهوم أصيل عميق هو : أن الدين من عند الله واحد ، وأن المسلمين مأمورون بالإيمان بكل الرسل والكتب ، والإيمان بما أنزل على نوح وإبراهيم وموسى وعيسى : « وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم » ، وإيماناً بأن الإسلام هو دين الله الأول والأخير ، وأن ما حدث من تغيير إنما أحدثه رؤساء الأديان بتفسيرها تفسيرات خرجت عن جوهر التوحيد الخالص والرسالة الجامعة ، خاصة ما حملته الأديان من بشارة بالرسالة الخاتمة التى حملها محمد ﷺ والتى يجب على كل صاحب دين أن يؤمن بها وينصرها .

الإسلام السمح :

ولقد كشف علماء المسلمين فى مختلف هذه المؤتمرات عن سماحة الإسلام وعظمة تشريعاته ، وإيجابيته ، وقدرته على حل مشاكل البشرية، ومفهومه الجامع بين الروح والمادة، ومعطياته فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد،

وأن كل معضلات الحضارة الغربية والمجتمعات المعاصرة تجد حلولا جذرية لها في الشريعة الإسلامية .

الهدف الحقيقي :

غير أن هذه المؤتمرات لم تلبث أن كشفت عن غرض مضمر خطير يستهدف حصول المعسكر الآخر على تصريحات ترمى إلى كسر الذاتية الإسلامية ، وتحطيم الفوارق العميقة بين الإسلام وبين الأديان ، وهى فى تطلعها هذا تستهدف أن يعترف المسلمون بأنه ليس بين المسيحية والإسلام إلا فوارق يسيرة وخلافات فرعية وأن هناك جوانب كبيرة يلتقى فيها الإسلام والمسيحية ومن ثم فإن التصورات التى قدمها علماء المسلمين فى تلك المؤتمرات المختلفة ، قد استغلت فى سبيل هدف خطير ، هو القول فى الغرب بأنه ليست هناك فوارق بين المسيحية والإسلام .

أين التوحيد الخالص ؟

وإذا كانت الأديان السماوية فى مصادرها واحدة من حيث أنها تدعو إلى التوحيد الخالص وعبادة الله الواحد القهار ، فإن هذا المفهوم قد تغير وتحول وفقد حقيقته فى المسيحية، التى أدخل إليها رؤساؤها تفسيرات جديدة ، فيها التعدد والتثليث والصلب والخطيئة وهى مفاهيم لا يقرها الإسلام .

أما إذا كانت الدعوة إلى الحوار ، ترمى إلى إقامة جبهة متحدة من أصحاب الأديان السماوية ، فى مواجهة الإلحاد والايدلوجيات الماركسية والشيوعية والاشتراكية الضالة الحاقدة على الأديان ، والتى تعمل على هدم الدين وتحطيمه فى المجتمع البشرى ، فإن الأمر يتطلب بدء مرحلة جديدة من العمل بين أصحاب الأديان تتوقف فيها أعمال التبشير التى تقوم بها منظمات لها ارتباط واضح بالاستعمار الغربى ، وخاصة فى أفريقيا وجنوب شرق آسيا وأنه بدون توقف مؤسسة التبشير الضخمة ذات النفوذ والموارد

الضخمة فإنه لا سبيل إلى قيام أى أساس بين الأديان للالتقاء على مقاومة المادية والإلحاد .

وقد تعالت أصوات المفكرين المسلمين فى مؤتمر قرطبة وغيره بهذه الصيحة، وبأنه إذا كانت الدعوة تنبعث من الغرب المسيحى إلى عالم الإسلام، للحوار حول مواجهة المادية والإلحاد والدعوات الهدامة، فإن آكد الوسائل لإمكان قيام هذا الحوار هو إعلان البابوية توقيف أعمال التبشير ، التى هى فى ذاتها معارضة واضحة ، لما يحاول البعض تقديمه من تعبيرات عن عظمة الإسلام ، وإنه لا يمكن للإسلام أن يكون قادما على العمل فى حقل جماعى لمقاومة الإلحاد والمادية ، إلا إذا كانت الأطراف كلها معترفة بوجود الإسلام وقدرته ، متوقفة تماما عن الحملة عليه ومعارضته أو الانتقاص منه فى نظر أهله .

الخلفيات وراء الدعوة :

ويقول باحثون متعمقون بمعرفة خلفيات الدعوة إلى الحوار بأن الإسلام وقد فتح صفحة جديدة فى الغرب ، وأصبحت له قواعد هامة فى مختلف أقطار أوربا وأمريكا ، عندئذ رغبت الكنيسة فى التقارب من الإسلام للحصول على تصريحات تعلن : أنه ليس هناك خلاف أساسى بين المسيحية والإسلام ، وأن الخلاف فى الفروع . وأن خطة الحصول على هذه التصريحات تسير عن طريق الخداع بهدف نقل هذه الأفكار إلى الناس فى الغرب ، حتى يصدهم ذلك عن الإتجاه نحو الإسلام .

وهو عمل من أعمال التبشير الغربى ، درس بدقة ونفذ بمهارة ، بحيث تعمل مؤسسة التبشير على انتقاص الإسلام فى نظر أهله ، تدعيماً للاستعمار الغربى فى بلاد المسلمين ، وأنها تحاول الآن محاولة أشد خطورة ، وهى تزييف حقيقة الإسلام فى نظر الغربيين الذين يرون أن الايدلوجيات

والتفسيرات الدينية جميعاً ، قد أصبحت عاجزة الآن تماماً ، عن اعطاء النفس الإنسانية فى الغرب ما تتطلع إليه من السكينة ، وتكامل اللقاء بين الروح والمادة والعقل والقلب والعلم والدين والدنيا والآخرة وقد جربت أوربا وجرب الغرب الايدلوجيات الليبرالية والماركسية على السواء ، بل لقد ذهبت إلى أبعد من ذلك فدرست البوذية وفلسفات الهندوكية وغيرها ، فلم تستطع الحصول على شىء يرضى النفس ويسعدها ، وأنها حين بدأت بتجه إلى المصدر الأصيل : الإسلام . وأخذت تجد فيه جوهر اليقين النفسى والروحى والمفهوم الأصيل الذى يواكب العلم ولا يعارض الفطرة .

أسلوب خداع :

تجىء هذه المؤامرة الخطيرة لتحصل من علماء المسلمين بالخداع أو المكر والذكاء على تصريحات تقول أن المسيحية والإسلام ملتقيان فى كثير من المعانى ، بينما هما مختلفان فى أمور فرعية ، ومن شأن هذه البيانات حين تحمل إلى أولئك المتطلعين إلى الإسلام أن تحد من مطامحهم ، حين تقول لهم : أنه لا خلاف بين المسيحية والإسلام .

والواقع أن هناك خلافاً جوهرياً وعميقاً بين الإسلام والمسيحية ، يجب أن يكون واضحاً أمام الباحثين والمثقفين فى العالم كله ، ويؤكد كثير من الباحثين ، أن محاولة الحوار هذه قد جاءت تحت تأثير الصيحات التى ترتفع الآن فى الغرب : مطالبة بأن ينظر فى شأن النظام الإسلامى ، وهل فى استطاعته أن يعطى أمن النفوس وسلامة الجماعة ؟ وذلك بعد أن أخفقت تجارب الغرب جميعاً فى خلال أكثر من أربعمائة عام بين ديمقراطية وماركسية وفرويدية وليبرالية ووجودية ، ولم تحقق لهم إلا التمزق والأزمة . ومن هنا فإن خطراً خطيراً يواجه هذا التيار ويحاول أن يفسد اتصاله بالإسلام وذلك هو ما تحاوله الصهيونية العالمية متخذة بعض

رجال الكنيسة وسيلة إليه ، وذلك بالقول الذى ردده طه حسين وجماعة ن الكتاب العرب التابعين لمعسكر التغريب ـ من أنه ليس بين المسيحية والإسلام فوارق كثيرة ، وأن الخلافات التى بينهما خلافات أكاديمية : ومعنى هذا القول الماكر : أن الإسلام والمسيحية سواء ؛ وبخاصة وأن الإسلام يعترف بالمسيحية .

موقف صريح :

ومن هنا فإن علينا أن نبين موقفنا بوضوح إزاء ذلك فنقول : إن أديان السماء كلها هى فى الأصل دين واحد وأن الإسلام إنما جاء ليضع رسالة السماء كلها فى منهج عالمى خالد . وأن كل دعوة سبقت الإسلام إنما حملت فى أطوائها الإيمان بالإسلام وبمحمد ﷺ ، متى بلغها دعوته ولكن أصحاب الأديان حرفوا وبدلوا وأزالوا هذا الارتباط ، ومن ثم فإن اعتراف الإسلام بالمسيحية إنما هو إعتراف برسالتها السماوية الأساسية وليس بوضعها الذى وصلت إليه بعد التحريف والتغيير الذى أدخل عليها بخاصة فى أمـــور كبرى : هى التثليث والصلب والخطيئة ، فالإسلام منها براء ومن هنا فإن الفوارق بين الإسلام والمسيحية ليس أكاديمياً كما يدعى المدعون ولكنه عميق فى الأصول الأساسية (ولكن لا يمنع من التقاء أهل الدينين على مواجهة الإلحاد والدعوات الهدامة) إذا ما توقفت أعمال التبشير والاستشراق التى تحاول أن تسمم مفاهيم الإسلام وقيمه ، وأن تعترف المسيحية للإسلام بمنهجه الربانى ، ولا ريب فى أن البشرية لن تجد أمامها سبيلا صادقاً إلا حين تعرف الإسلام ، وأن كل هذه المحاولات التى ترمى إلى صدها عنه ، أو حجبه عنها أو تزييفه لديها سوف تسقط وسيتمكن الإسلام من إعلان جوهره وحقيقته كمنهج أوحد فريد للبشرية كلها ؛ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أبرز وجوه الخلاف :

أولا : التثليث : فقد جعلوا المسيح هو الله الذى تجسد فى الإنسان وولد من رحم مريم ، فالله عند المسيحيين هو المسيح متجسما فيه ذات الله ، وقولهم بالتثليث تعدد ، وقولهم بألوهية المسيح ، وأنه ابن الله سبحانه وتعالى — عما يقولون ، ومع ذلك فقد حاولوا تبرير التثليث وربطه بالتوحيد وما قالوه فى ذلك لم يقنع عقلا واحداً مستنيراً ، وأن كل المثقفين والممتازين الذين تركوا المسيحية ودخلوا فى الإسلام كان التثليث هو الصخرة الوحيدة التى وقفت أمام عقولهم وأرواحهم .

ولاريب أن فكرة التثليث مستمدة أساساً من الفكر اليونانى ، فقد ظهرت فكرة الأقانيم الثلاثة عند الإغريق ، وكانت معروفة فى أديان الهندوس وقدماء المصريين والفرس ، وهناك فى الدين الفرعونى . (إيزيس واوزوريس وحورس) وكانت فكرة الثالوث (الأب والإبن والروح القدس) فأشية عند الوثنيين وعنهم أخذها المسيحيون ، وقد ظل المسيحيون منقسمين حول التوحيد والتثليث ، حتى جاء مجمع نيقة الذى حسم الخلاف ، وانهزمت به مبادىء عيسى ، وانتصرت أفكار بولس ، وجاء جيل جديد تلقى أفكار بولس على أنها هى المسيحية .وقد عرف البراهمة الثالوث (برهما - فيشنو — سيفا)وقال به الأشوريون والبابليون والفرس ،حتى قال برتراند رسل أنه لم يعتق المسيحية منذ نشأتها سوى فرد واحد ، هذا الفرد هو المسيح ، ويقصد بذلك الديانة المرسلة من عند الله .

« لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة » المائدة : ٧٣ .

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم » المائدة : ٧٢ .

ثانياً : الصلب والخطيئة : وقد زعموا أن المسيح إنما قدم نفسه للصلب تكفيراً عن خطيئة آدم ، وقد كشف الإسلام زيف هذه الدعوى بأن أعلن

بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن إنساناً ما فى هذه الدنيا ليس مسئولا عن خطيئة أو ذنب أى إنسان آخر ، وأن آدم عليه السلام أبو البشر حين أخطأ فإنه التمس التوبة ودعا الله فتاب عليه ، ولم يعد هناك ذنب باق أو متصل بالبشر من بعده . ولذلك فإن فكرة الخطيئة والفداء فكرة غريبة على الدين الحق ، وهى ليست من المسيحية فى شىء ، وقد نقلت إليها من عقائد أخرى وخاصة عقيدة الهنود حيث كان معتقداً سائداً عند الهنود قبل المسيح بمئات السنين .

وقد أكد القرآن أن عيسى عليه السلام لم يصلب . وإنما شبه لهم ، وأن جند الرومان أخذ يبحثون عن عيسى لتنفيذ الحكم بعد أن أوغر اليهود صدور حكام الرومان ضده ، وأخيراً عرفوا مكانه فأحاطوا به ليقبضوا عليه وكان من بين أصحابه من وشى به ودلهم عليه ، فألقى الله تبارك وتعالى عليه شبه عيسى وصورته فقبض عليه الجنود ، وارتج عليه فنفذ فيه حكم الصلب . أما السيد المسيح فقد كتب الله له النجاة من المؤامرة ، وانسل من بين المجتمعين فلم يحس به أحد ، وقد أوضح القرآن الكريم الموقف فى هذه القضية فى جلاء بين : قال تعالى :

« وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وأن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً » النساء : ١٥٧ ، ١٥٨ .

ثالثاً : الرهبانية : كذلك كان لنظام الرهبنة أثر كبير فى الفكر المسيحى فقد حطم مفهوم المسئولية الفردية والارادة وكان لانتشار الرهبانية أثرها البالغ فى توقف عمران الحياة ، بعد أن آوت الألوف المؤلفة إلى الأديرة ومارست تلك الأساليب من العبادة غير الطبيعية ، وقد وقد أدان القرآن الرهبانية .

« ورهبانية ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم إلا إبتغاء رضوان الله ، فمارعوها حق رعايتها، فآتينا الذين أمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون . الحديد : ٢٧ .

رابعاً : عالمية المسيحية :

وكانت الدعوة إلى عالمية المسيحية خروجا عن وضعها الصحيح بوصفها أخر النبوات الموجهة إلى بنى إسرائيل ولذلك فقد كانت مجموعة من الوصايا ، « هدفها التحذير من تحريفات اليهود » لأن شريعتها هى الشريعة التى أنزلت على موسى عليه السلام ، وقد حولها «بولس» إلى دين عالمى وأخرجها من طبيعتها الحقيقية ، فإن المسيح عليه السلام ما جاء أساساً إلا للشعب اليهودى يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإلى ترك ما هم فيه من شرور وأثام وتحريفا للأحكام ، وقد كانت وصاياه روحية خالصة لترجح الكفة ولتكسر روح المادية الصارخة التى وصل إليها بنو إسرائيل وقد وردفى إنجيل متى (اصحاح ١٠) لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة . وقد دعا المسيح تلاميذه الإثنى عشر إلى تبشير بنى إسرائيل فقط ، ولذلك لم تكن رسالة المسيح إلا رسالة قومية يهودية . أى لقومه من اليهود وليست رسالة عالمية ، كما يزعم الرهبان والقساوسة حالياً ، بل إن هذه من مخترعاتهم، ومما يؤثر أنه مما أوصى المسيح الإثنى عشر قوله : « إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا بل إذهبوا بالحرى إلى خراف بنى إسرائيل الضالة » وقد حسم القرآن الكريم الموقف حين قال : ورسولا إلى بنى إسرائيل .

خامساً : الكنيسة :

من المقطوع به حسب النصوص التاريخية الثابتة : أن المسيح عليه السلام ، لم يفكر فى إنشاء كنيسة أو إقامة كهنوت وإنما جاءت هذه

الفكرة من بولس ، وقد استطاعت الكنيسة أن تغير كثيراً من الأصول الأصيلة التي أقرتها شريعة التوراة ، التي هي شريعة كل أنبياء بني إسرائيل ، وقد حرمت شريعة التوراة لحم الخنزير ، ولما جاء بولس بالدعوة المسيحية إلى الرومان أحل لهم الخنزير ، فأصبحوا يأكلونه تقربا إلى المسيح!؟ كذلك حرمت شريعة التوراة الربا وأحلته الكنيسة ، وبعد أن كان الله تبارك وتعالى هو غافر الذنب وقابل التوب ، أصبحت الكنيسة هي التي من حقها غفران الذنوب وتكفير الخطايا .

بين اللاهوت والناسوت :

وحول القول بألوهية المسيح أو إزدواج طبيعته حدث صراع شديد ، حين قضت الدولة الرومانية على عقيدة التوحيد ، وحملت المسيحيين حملا على التثليث ، بينما عارض (أريوس) ودافع عن التوحيد وقرر أن المسيح عليه السلام ليس إلها ولا إبناً للإله ، وإنما هو بشر مخلوق ورسول الله ، وأنكر ما جاء في جميع الكتب الأربعة (أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا) .

وبتقليب صفحات العهد القديم — الموجودة الآن ، رغم ما حرف اليهود فيها — يتبين أنه لا يوجد فيها شيء من عقائد النصارى الحالية أي لا يوجد فيها أي إشارة إلى الآب والإبن والثالوث وألوهية المسيح أو صلبه أو موته وقيامه أو المعمودية بمفهوم النصرانية للغفران من خطيئة آدم ، أو ما يشير إلى اتحاد الإبن الأزلي بالآب ، أو ماشابه ذلك ، كذلك فإن عقائد النصرانية القائمة الآن فعلا لا توجد في أقوال السيد المسيح ولا أقوال تلاميذه الذين آمنوا به وسمعوا عنه .

كذلك فليس هناك ما يشير إلى أن أحداً ما يسمى إبناً لله ، بل عبداً ، فليس لله تبارك وتعالى إبن ، وعيسى عليه السلام رسول الله شأنه شأن

الأنبياء عليهم السلام ويتميز بأن الله تبارك وتعالى خلقه فى بطن مريم من غير أب ، وأنه إنسان لا ألوهية فيه « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون » آل عمران : ٥٩ بل أن بشارات الأنبياء التى أعلنت مجىء المسيح فى العهد القديم ما ذكرت عنه إلا كونه نبياً من البشر دون أى إشارة إلى أنه سيقتل أو يصلب .

وتقول دائرة معارف لاروس الفرنسية :« إن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه وسمعوا قوله ، كانوا أبعد الناس عن الاعتقاد بأنه أحد الأقانيم الثلاثة المكونة لذات الخالق وما كان بطرس تلميذ المسيح يعتبر المسيح أكثر رجل يوحى إليه من عند الله » .

بل إن المطلع على الأناجيل الثلاثة الأولى المنسوبة إلى متى ومرقص ولوقا يجد أنها لا تحوى أى إشارة إلى التثليث أو ألوهية المسيح أو الروح القدس أو عقيدة الفداء (وهو تجسيد الإبن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً لخطيئة آدم كما يزعمون) .

وأن ما جاء فى ألوهية المسيح قد جاء بانجيل يوحنا ، وهذا الإنجيل لايسلم به محققوا النصرانية، فعلماء النصرانيةفى أواخر القرن الثانى الميلادى أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى ، وهذا يقطع بأن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا مزور النسبة إلى يوحنا الحوارى .

رأى لواحد منهم :

وهناك وثيقة تكشف عن كل هذه الخلافات، هى إنجيل برنابا الذى يؤكد وقوع الصلب على يهوذا ، كما ينفى تأليه عيسى عليه السلام ، فإنجيل برنابا ، لايعتبر المسيح إبن إله ولا يعتبره إلهاً ، ويؤكد أن الذبيح الذى تقدم به إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل وليس إسحق ، ويبشر بظهور سيدنا محمد ﷺ ، ويؤكد أن المسيح لم يصلب ولكن شبه لهم .

أبحاث علماء اللاهوت :

وقد كشفت أبحاث علماء مسيحيين غربيين فساد نظام التثليث والصلب والخطيئة يقول : « موريس وايلس ، دينس نايهام » فى كتابهما « أسطورة تجسيد الإله » : « لقد استعان العلماء فى تأييد نظرتهم بالبحوث العصرية التى تناولت محتويات الإنجيل ، فقد ثبت لعدد كبير من الخبراء والعلماء : أن السيد المسيح لم يقل فى حياته إطلاقاً أنه الرب أو ابن الرب ، وغيره من الألقاب مثل المسيح وابن البشر وابن داود ، وإنما أضيفت من قبل أنصاره وأتباعه ، الذين أرادوا بهذه اللغة الشعرية والميثولوجية ، أن يفسروا كم كان هذا الإنسان خارقاً وفوق العادة .

والخلاصة : أن عيسى بن مريم عليه السلام ليس ابن الرب وإنما هو بشر كبقية البشر ولكن الله عز وجل كرمه وميزه عليهم .

وقال فرنسيس يونج :« إن الألقاب التى أطلقها النصارى الأوائل على عيسى بن مريم ليست إبتكاراً إبتكروه ، وإنما اقتبست من الحضارات اليهودية واليونانية والرومانية فى ذلك العصر، ذلك أن العالم الوثنى لم يكن يستنكر أن يأخذ الرب شكل إنسان ، بل أن المثقفين كانوا يعتقدون أن المقدونى وأباطرة الرومان ينحدرون من سلالة الآلهة .

عبادة مترا :

ويرى كثير من الباحثين فى مقارنات الأديان أن عبادة الإله مترا ، كانت من الديانات المنتشرة فى حوض البحر المتوسط ، منها أخذ بولس « الأفكار التى صاغها وأن المسيح الإله — كما يدعون — جاء صورة طبق الأصل من خصائص الإله مترا ، فكلاهما كان وسيطا بين الله والبشر ، وكلاهما مات ليخلص البشر من خطاياهم ، وكلاهما دفن وعاد للحياة وقام من قبره ، وكلاهما كان يدعى مخلصاً ومنقذا وكلاهما تعمد اتباعهما وعرفا العشاء المقدس .

إيزيس وأوزوريس وحورس :

أما نظرية ابن الاله فقد كانت تسود العالم المصرى القديم (إيزيس - أوزوريس - حورس) ومن مصر غمرت حوض البحر الأبيض ، وكانت صورة إيزيس الأم وهى تحمل الإله الإبن ، هى الصورة السائدة فى أنحاء العالم الرومانى ، وقد استغل بولس هذه الأفكار السائدة ، للتبشير أمام الرومان ، الذين كانوا يعرفون هذه الأشياء ، كذلك فإنه من حيث أن المسيحية تقوم على مفهوم أنها دين لاهوتى خالص ، فهى تقف بالدين عند مفهوم الروحية والعبادة ، وتعجز عن استيعاب حقيقة مفهوم الدين الربانى ، الذى هو بمثابة منهج حياة ونظام مجتمع ، ولما كانت المسيحية مجموعة من الوصايا والأدعية ، ولأنها تجاهلت شريعتها الأصلية (من الموسوية) فإنها لا تنطوى على نظام إجتماعى ، ولذلك فقـــد قبلت الأيدلوجيات ، ووقفت عند حدود النظرية الانشطارية التى تتمثل فى مرحلتين مختلفتين بل متضادتين تماماً ، وهى مرحلة الرهبانية العازفة عن الدنيا والحياة والمرأة والزواج والعمل ، ومرحلة المادية الموجودة حالياً وهى القائمة على التهالك على متاع الدنيا والأباحية الصارخة فهى فى المرحلة الرهبانية انصهرت فى العزلة إنصهاراً تاماً ، ثم عادت فانصهرت فى التكالب على الحياة حتى عزلت نفسها عن الروحيات والمعنويات بل وعدتها من الأوهام .

وكذلك فإنها كانت تؤمن بنظرية أرسطو فى الثبات المطلق ، ثم تحولت منها إلى نظرية هيجل ، التى تقوم على التطور المطلق ، وهى فى ذلك كله تتعارض مع مفهوم الدين الحق والإسلام بنوع خاص ، القائم على الجمع بين الروحيـــة والمادية ، وهو النظام الجامع بين الثوابت والمتغيرات ولعل هذا كله من وجوه الخلاف العميقة بين الإسلام

والمسيحية التى تحول بين التقائهما على مفهوم واحد .

أن وقوف الفكر الغربى عند المادية والتطور المطلق قد حجب عنه النظرة الكاملة ، وحجب عنه الفطرة وأنوار السماء وكذلك وقفت الماركسية والوجـــودية والفكر الغربى اليوم ، بعد أن أزاح الدين والأخلاق والقيم والثوابت والروحانيات وقف عند الظاهر المادى ولم يستطع أن يستكمل النظرة الجامعة. وقف عند ضوء البصر ولم يستطع تجاوزه إلى نور البصيرة ، عرفوا سنن الكون وعجزوا عن معرفة صاحب السنن ، وعرفوا بعض أسرار العلوم فظنوا أنهم ليسوا فى حاجة إلى الدين أو معرفة خالق الكون .

نظرة إلى الحوار :

فى ضوء هذا كله يمكن النظر إلى فكرة الحـــوار بين الإسلام والمسيحية من حيث أن الفكر الغربى المعاصر كله يستمد جذوره من مفاهيم الخطيئة والصلب والتثليث ، وأن هذه العناصر مؤثرة تأثيراً كبيراً على مفاهيم الرأسمالية والسياسة والاقتصاد والمجتمع والنفس والأخلاق جميعاً بل أن مفاهيم الخطيئة تصبغ الفكر الأخلاقى والنفسى (فرويد وسارتر) فى التحليل النفسى والوجودية جميعاً بصبغة الإنسان الملعون الذى يشقى لأنه لا يستطيع التخلص من آثام الخطيئة الأصلية ثم تجىء العلاقات المادية ومدرسة العلوم الإجتماعية لدوركايم لتقول بالجبرية الاجتماعية فتنكر المسئوليه الفردية للإنسان ، والالتزام الأخلاقى له إزاء المجتمع ، وتعتبره غير مسئول مسئولية فردية ، وإنما المسئول هو المجتمع ، وذلك ما يتعارض تماماً مع مفهوم الإسلام للإنسان « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » الإسراء : ١٤ .

موقف الإسلام :

وعلى الجملة فإن موقف الإسلام من الحوار يجب أن يتقرر فى ضوء عدة حقائق :

أولا : خرجت المسيحية عن مفهومها الأصيل القائم على العطف على الفقراء والرحمة والخشوع والعدل ، واحتوتها مفاهيم اليهود من القسوة والعنف والقتل ، وتمثل ذلك فى الحروب الصليبية والحروب الاستعمارية الحديثة ، والغزو السياسى والثقافى والحضارى لمعالم الإسلام ، وكذلك وأن هناك إحتواءاً يهودياً للمسيحية حتى فى أساليب التبشير ، يستهدف إذاعة مفهوم خاطىء عن تمييز لأحد أبناء إبراهيم عليه السلام ، وصولا إلى مفهوم خاطىء هو شعب الله المختار .

ثانياً : ضربت البلاد الاسلامية المثل فى التعايش السمح بين المسلم والمسيحى عبر ثلاثة عشر قرناً واستطاعت أن تحمى العبادة والوجود الاجتماعى المسيحى ، بينما عجزت أوربا عن تقبل الاسلام بها وحاربته وأخرجته من القارة .

ثالثاً : حرص التبشير المسيحى على اتهام الاسلام وانتقاصه ، بينما كان التبشير الاسلامى يعمل فى المناطق التى يوجد بها الوثنيون ولم يحاول مواجهة المسيحية أو انتقاصها ، ويحترم المسلمون سيدنا عيسى والسيدة مريم إحتراماً كاملا ، ويعتبرون الإنجيل الصحيح منزلا من عند الله تبارك وتعالى .

رابعاً : يشن التبشير والاستشراق على سيدنا محمد ﷺ وعلى القرآن والاسلام فى كتبهم وخطبهم حرباً عوانا ، هذه الهجمات التى تتكون من إفتراءات وإتهامات باطلة بلغة غير علمية .

خامساً : أن المسيحية تحتضن الشيوعية وتحتضن الصهيونية سياسياً

وفكرياً ، وتعين على إنتشارها فى العالم الاسلامى وتمكن لها .

سادساً : عجز المسيحية حتى الآن عن استيعاب الاسلام بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع إلى جانب أنه دين جامع ، وليس ديناً لاهوتياً تعبدياً ، وأن دوره فى تقديم الحلول الربانية لمشكلات المجتمعات قائم ودائم ومستمر وأن هذا الدور لم يتوقف أو ينتهى .

سابعاً : أن نشأة الاستشراق والتبشير ارتبطت بالدعوة إلى حرب الاسلام بالكلمة ، بعد فشل حربه بالسيف وأن الهدف هو الحيلولة دون أن يكسب الإسلام إتباعاً فى صفوف المسيحيين وتشويهه فى نظر أهله ونظر العالم كله .

نقول هذا كله ونستعرضه بتوسع حتى يكون بنو قومنا على علم بالحقائق التى أفسدتها المفاهيم الصحفية التى ترددت فى السنوات الأخيرة حين يتحدث عن محاولة الكنيسة لما أسمته (تبرئة اليهود من مقتل السيد المسيح) فالواقع أن المسيح لم يقتل ولم يصلب ، ولقد كان أولى أن تكون العبارة (تبرئة اليهود من محاولة قتل السيد المسيح) ذلك أن اليهود تآمروا على السيد المسيح وألبوا عليه الدولة الرومانية لقتله ولكن المؤامرة باءت بالفشل (بل رفعه الله إليه) .

(٤)

التـــوراه

تقول : دائرة المعارف الفرنسية (لاروس) مادة « توراة » : أثبت العلم العصري — وبخاصة البحث الألماني — بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات ، أن (التوراة) لم يكتبها (موسى) أي لم تنقل عن موسى بعد أن تلقاها وحيا ، وأنها عمل أحبار لم يذكروا أسمائهم عليها ، تعاقبوا على تأليفها معتمدين على روايات سماعية .

هذه التوراة تحمل بلا نزاع آثاراً من الحواشي والتنقيحات ومن علامات أخرى تدل على أنها ألفت بعد الزمان الذى مات فيه موسى عليه السلام بوقت طويل .

فقد ذكرت فيه أسماء مدن لم توجد إلا بعد موسى عليه السلام . كما يلاحظ قارىء التوراة أن مؤلفها — الذى لم يذكر إسمه — يشير إلى موسى عليه السلام كما لو كان يشير إلى رجل مات من قرون عديدة .

والواقع أنه عرف الآن بما يكاد يصل إلى حد الإجماع فى المحيط العلمى ، بأن التوراة قد حررها (اسدارس) بعد رجوعه من أسر (بابل) بمساعدة مستندات قد ضاعت الآن وأساطير غريبة كان لها تأثير مستمر فى الشرق .

« نقـــد التوراة » :

وليس هناك رأى واحد فى كتابات من كتبوا عن العهد القديم ، بأن التوراة المتداولة اليوم هى كتاب سماوى ، وقد صدر عدد خاص من مجلة (لايف) فى أبريل ١٩٦٥ باسم الكتاب المقدس ، ومن قبل ذلك وبعده صدر عدد من الدراسات والأبحاث فى الشرق والغرب ، تشير إلى أن الكتاب المقدس أو العهد القديم أو التوراة ، لم يعد كتاب علم وتشريع . بعد أن وكل الغربيون أنفسهم فى سن الشرائع للإنسان — على حد تعبير الدكتور أنيس فريحه — (مجلة الأبحاث مجلد ٤ ص ٢٧٠) الذى يرى أن ذلك قد حرر الإنسان الأوربى من تقديس الحرف فشعر أنه حر طليق من كل قيد ، ينظر

فى الكون بعقله ويحس الجمال بروحه ، ويرى الدكتور فريحه فى بحثه باسم (نقد التوراة) أن هذا النقد ظاهرة عامة فى هذا العصر ، من أجل إعادة البحث فى الدين، والتوكيد على الإنسان وعظمته والتقليل من أهمية الحرف وهى عوامل أساسية فى الفكر الغربى المعاصر، حيث أصبح الإنسان سيد نفسه له أن يفهم الكون بعقله .

ويرى هذا الباحث — نقلا عن عدد كبير من الباحثين — أن نقد نصوص (الكتاب المقدس) أصبحت اليوم ضرورة ، من أجل معرفة كتابها وأزمنة وضع أقسامها ، وقد أدى هذا النقد إلى اكتشاف فوارق فى الأسلوب وتناقض فى الروايات عن الحادث الواحد، وتباين فى الأوامر — التى يفترض أنها من مصدر واحد — ويعقب على ذلك بقوله : مما جعل القول بأن كل كلمة وكل نقطة من النصوص المقدسة هى وحى إلهى حرفى أمر بالغ الصعوبة » .

« ولقد كان الناس يعتقدون جيلا بعد جيل أن الكتب الخمسة الأولى من التوراة (تكوين ، خروج ، لاويين ، تثنية ، عدد) كتبها كلها النبى موسى مع أن هذا القول لا يرد فى التوراة ذاتها، وأنه حين طبقت مقاييس البحث العلمى التى إستعملت فى دراسة وثائق القرون الوسطى ثبت بما يدع مجالا للشك أن الأمر على خلاف ذلك » .

أصول الأسماء :

والتوراة كلمة عبرية معناها توجيه وتعليم ، ثم شرع وقانون ، وقد أطلق لفظ التوراة على الأسفار الخمسة المعروفة بأسفار موسى ، بحسبان أن موسى هو صاحبها (وعبارة الدكتور أنيس فريحه فى هذا الصدد هى : (توهما أن موسى مؤلفها)، أما فى العربية فإن لفظ (توراة) يطلق موسعاً على الكتاب المقدس بجملته — أى بعهديه القديم والجديد (٦٦ كتابا) —

ويقول الدكتور فريحه : لا يعلم بالضبط متى كتبت التوراة « ليس لدينا أدلة تاريخية سوى تلك التى جاءت نتيجة التحليل اللغـــوى والتاريخى للنصوص ذاتها . والنص العربى ضبطت أحكامه بين القرنين السادس أو الثامن الميلاديين ، فقد حدث فى هذه الفترة شبه تسابق إلى ضبط حروف السريانية والعبرية ، وذلك بسبب ظهور الإسلام وحرصه العجيب على الحفاظ على اللغة التى نزل بها الوحى . ويقول الدكتور فريحه أيضاً : أن ترتيب الكتاب الذى استقر عليه يعود إلى زمن أبعد من الزمن الذى ضبط فيه النص .

تاريخ كتابتها وكتابها :

والمجمع عليه هو بدء القرن الثانى للميلاد ويرجع زمن تأليفها — أى التوراة — إلى ما قبل المسيح وقد اعترف بقدسيتها فى القرن الخامس قبل المسيح (٤٤٤ ق.م) وكتب الأنبياء (٢٥٠ — ٢٠٠ ق.م) والكتب المقدسة بين ١٥٠ ق.م إلى ١٠٠ م) ولا يعرف أسماء المؤلفين ولا زمن التأليف بالضبط وهناك إجماع على أن أقدم كاتب من هؤلاء الكتاب قد ظهر فى « يهوذا » فى القسم الجنوبى من فلسطين فى القرن ١٠ ، ٩ ق.م وحاول أن يكتب قصة الخليقة ويتميز أسلوب هذا الكاتب بدقة الوصف والحرارة الدقيقة التى تشيع فى كتاباته ، وجاء بعده كاتب دينى آخر دون تاريخ شعبه (شمالى) فلسطين وجاء كتاب آخرون متعددون » .

مبدأ النقد والدراسة :

ويقول الباحثون أن الشروع فى دراسة التوراة دراسة نقدية لم يبدأ إلا بعد القرن السابع عشر — الميلادى — حيث جرى تطبيق قواعد النقد الأدبى على التوراة ، وأن ذلك جاء نتيجة مباشرة للثورة الإنجيلية ضد الكنيسة البابوية بهدف التخلص من ربقة التقليد الكنسى ، وعندهم

أن تقدم العلوم ساعد على نقد التوراة — حيث أثار التناقض الواضح — بين ما أثبته العلم وما جاء فى التوراة — شكا وقلقاً روحياً .

وأبرز من هذه التناقضات أن التوراة قالت إن الأرض ثابته ، وعندما إتجهت أفكار الغربيين إلى الأدب الإغريقي والرومانى أحدث ذلك رد فعل ضد الكتاب المقدس، وظهرت الدعوة إلى أن الفكر الشرقى لا يتلاءم مع روح أوروبا .

وقد أشار الدكتور أنيس فريحة إلى ما أصاب التوراة من تغيير وتحريف ، وقال إن هناك أغلاطا منشؤها السهو والكسل والملل ، أو ضعف النظر، وإذ كان الناسخ غير أمين فى عمله عندما يعرض كلمة لا يستطيع قراءتها فإنه يعمد إلى تغيير الكلمة أو تحوير النص بكامله ليستقيم المعنى ، فضلا عن كثير من هوامش المعلقين والشراح كانت تحشر فى المتن ، ولم ينج النص فى التوراة من كل هذه الآفات فجاء نصها مشوهاً قلقاً غامضاً فى كثير من الأسفار .

مسالك نقد التوراة :

وقد جرت الدراسات إلى نقد التوراة وهل هى شعر أو نثر أم تاريخ أم دين وجرى البحث حول شخصية المؤلفين وهل هى شخصيات تاريخية أم أسماء وهمية . وقد إعتبرت التوراة (أدباً) فى نظر الباحثين أو قسما كبيرا منها إعتبر من الفنون الأدبية ، ويرى بعض النقاد أنها (دراما) بطلها (يهوذا) يبدأ الفصل الأول منها بقصة الخليقة ، وظهور الإنسان الأول ، فيقع فى الخطيئة ويطرد من الجنة ، ويرى قسم آخر منها أنها أقرب إلى الملحمة (ملحمة الخلاص) . ويقول الدكتور فريحة إن من نتائج هذه الدراسات النقدية للتوراة أن أخذ الإنسان ، يعنى وقف محدوداً من النتائج .

دراسات « لايف » :

وفى دراسات الكتاب المقدس التى نشرتها مجلة (لايف) : أن التوراة أوسع الكتب إنتشاراً ومن أكبرها أثراً فى تاريخ البشر ، ولكنها مع ذلك كتاب كتبه الإنسان وأن مؤلفيه يحملون أسماء ذائعة الصيت مثل (بسياه ، ابزيكييل ، جرمياه ، القديس بول) ولكن أغلب كلماته كتبها أشخاص آخرون لا يعرف أحد منهم ولا يمكن معرفتهم فى يوم من الأيام.

وقد ظل الوحى الإلهى إلى الإنسان ينتقل من الأب إلى الإبن ألف سنة تقريباً — بعد إبراهيم — عليه الصلاة والسلام من غير أن يكتب وبعد ذلك فقط بدأ اليهود فى تدوينه وكان ذلك قبل ألف سنة تقريباً من ميلاد المسيح عليه السلام فأخذوا يسجلون القصص والقصائد القديمة ، وأضافوا إليها قصصاً وقصائد أخرى جديدة ، وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة لفائفهم عدة مرات وأن تنقل وتنسخ مما أوجد فرصاً عديدة لا تحصى لتغيرات كثيرة لا حد لها ، بعضها مقصود والبعض الآخر غير مقصود ، ولما بدأت النصرانية تنتشر بسرعة إزدادت الحاجة إلى نقل نسخ جديدة لا سيما العهد الجديد وأخذ كثير من المؤمنين يكتبون نسخاً لأنفسهم بأنفسهم ، أو كان أحدهم يقرأ بصوت مرتفع فى « النسخ » بينما كان يتلقى عنه ما يقرب من إثنى عشر ناسخاً، وهذا هو ما مهد الطريق لأخطاء أكثر وأكثر، لذلك فإنه لا يوجد اليوم أى نص (أصلى) لأى جزء من الكتاب، وربما حوى العهد الجديد تغييرات أكثر وأبلغ من العهد القديم .

وقد أشارت هذه الأبحاث إلى أن الكتاب المقدس كتب أول ما كتب باللغة العبرية القديمة واللغة الكونية أى الإغريقية ، إلا أنه عاش أكثر ما عاش فى الترجمة .

وقالت الأبحاث أيضاً أن كل الترجمات ناقصة قاصرة ، وكانت طريق

المترجمين محفوفة بالمخاطر والصعوبات فقد عجز « القديس » جيروم نفسه عن إرضاء الكنائس المعاصرة له والتمشى مع ذوقها وميولها » .. وهل الكتب المقدسة تخضع لإرضاء الميول .

هذا رأيهم :

وبعد : فإن هذه الدراسات (الأوربية) وماقيل فيها يفوق ماأوردناه، إنما يمثل موقف الفكر الغربى نقداً وإثارة للشبهات حول صحة التوراة الموجودة فى أيدى الناس الآن ، وصلتها بالتوراة المنزلة من عند الله ، وكل هذا معروض للقول فى مواجهة الحمـــلات الاستعمارية والتبشيرية والتغريبية الحرة، ومحاولاتها فى إذاعة التوراة وتوزيعها فى العالم من حيث أنها وثيقة تاريخية ودينية ، ويؤخذ من إحصاء جمعية التوراة فى نيويورك أن الكتاب المقدس نقل إلى ٤١٢ لغة غير اللغات الأوروبية (عام ١٩١٨) ويقدرون عدد النسخ التى وزعت من التوراة فى العالم وفى جميع اللغات التى ترجمت إليها بأكثر من ٣٠ مليون نسخة » وقد تضاعف هذا العدد الآن وقد عمد كثير من الكتاب وخاصة الأدباء المهجريون وفى مقدمتهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمه إلى نقل أسلوب التوراة إلى الأدب العربى .

أسلوب الترجمة :

وقد وصف ميخائيل نعيمة بأنه ربيب التكوين ، الذى تغذى بالعهد القديم من آيات شعرية نافذة التعبير السحرى ، مثل المزامير وسفر الجامعة وسفر أيوب ونشيد الإنشاد ، حيث لا يخلو مقال من مقالات نعيمة من تعبير شعرى دينى أو من آية أو بضع آيات برمتها ، ويطلق على هذا النهج الأسلوب التوراتى ، وهو أسلوب عرف منذ راجع إبراهيم اليازجى ترجمة الكتاب المقدس التى قام بها الأمريكيون فى أوائل القرن الميلادى —

العشرين — وقد رغب اليازجى فى أن يتصرف فى بعض كلمات الترجمة ، ويتخير ألفاظها ويزيل عجمتها ، ويخلصها من فساد التركيب وسوء التأليف، فحيل بينه وبين ذلك ومنع منه ، وبذلك نشأت لغة توراتية عامية ركيكة التركيب ، وقد حاولت هذه اللغة غزو اللغة العربية الفصحى بمحاولات جبران ونعيمة — التى خضع لها حينا الأستاذ المازنى — ولكنها تراجعت بعد فترة من الزمن عاجزة عن تحقيق أى تحول فى الأسلوب العربى القرآنى المصدر .

وكان المستشرق كامفاير قد أشار فى ترجمته لجبران إلى أن تأثير الترجمة العربية للتوراة ظاهر فى أسلوبه وخاصة فيما يتعلق بالرموز والاستعارات والمجازات . ومن الحق أن يذكر: أن التوراة كانت مستوحى الكتاب فى الغرب أمثال فيكتور هيجو ولامرتين وجوتيه وتوماس مور والفريد دى فنى وملتون .

وشهادة أخرى :

أما فى اللغة العربية — يعنى ترجمة التوراة إلى العربية — فإن الدكتور أنيس فريحة يشهد بأنه ليس لها أثر كبير فى الأدب العربى — فيما عدا محاولات جبران ونعيمة التى أخفقت — فليس هناك غير محاولات ساذجة ، من الشعراء الذين يكتبون قصائد الشعر المنثور ويستعملون فيها عبارات الخلاص والخطيئة وغيرها ، وهى كلمات ليست أصيلة فى الفكر الإسلامى العربى ، وفى نفس الوقت ، يمكن القول بأن القرآن الكريم والحديث النبوى — قد كانا ولا يزالان — المصدرين الهامين من مصادر الأسلوب الأدبى والأداء الفكرى والموضوعى ، وفى مجال الدراسات العلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وليس فى مجال القصة أو التاريخ وحدهما .

وفضلا عن ذلك فقد ظل القرآن الكريم بعيداً عن كل إتهام بالخلط أو الاضطراب أو الشك حول نصه أو مضمونه ، فضلا عن أنه لم تثبت قط أى معارضة فى نصوصه لأى نظرية علمية حديثة، أو إختلاف مع المنهج العلمى الحديث من ناحية مصدره أو مضمونه أو النصوص الواردة فيه .

وقد حاول الدكتور طه حسين أن يقف منه موقف كتاب الغرب من التوراة بنقد النص الأدبى أو التاريخى — فى كتابه الشعر الجاهلى — ولكنه فشل فشلا ذريعاً وتحطمت محاولته ومحاولة تابعيه أمام «وثاقة» النص القرآنى وسلامتها وعجز الشبهات التى جمعها الدكتور طه من المبشرين والمستشرقين عن أن تقدم شيئاً له أهميته أو من شأنه أن يثبت أمام التحقيق العلمى أو العقلى .

تأليف بشرى :

وقد تعددت فى السنوات الأخيرة الأبحاث الجادة ، التى كتبها رجال الدعوة الإسلامية والتى كشفت بوضوح وجهة نظر الإسلام فى بشرية التوراة والكتاب المقدس ، بما يثبت أن التوراة التى ذكرها القرآن ، أو التى يلتزم المسلمون بالإيمان بأنها من كتب ربهم ، أو الكتاب الذى أنزله الله تبارك وتعالى على موسى عليه السلام ، لا يمكن أن تصدق على مجموعة أسفار العهد القديم أو على أى سفر منها . وأن هذه « التوراة » التى ذكرها القرآن الكريم ليست هى الموجودة الآن بين أيدى اليهود والنصارى ، والتى تحوى مجموعة من الأسفار لكل منها إسم خاص يوحى بأنه منفصل عن غيره وليس بينهما ترابط وعددها (٣٩) فى الطبعة البرتستانتية التى تعتمدها بعض طوائف النصارى و (٤٦) فى الطبعة الكاثوليكية التى تعتمدها طوائف أخرى من النصارى .

الحفظ أحق اللاويين :

وأقرب نص صحيح إلى الأبحاث التى أوردها العلماء ، ما ذكره الإمام ابن القيم الجوزية فى كتابه « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى » حيث نقل عن بعض علماء اليهود الراسخين فى العلوم ممن هداهم الله إلى الإسلام قوله : أن علماء القوم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة ـ التى بين أيديهم ـ لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران ، البتة ، لأن موسى عليه السلام صان التوراة عن بنى إسرائيل ، ولم يبثها فيهم خوفاً من اختلافهم من بعده ، فى تأويل التوراة المؤدى إلى انقسامهم أحزاباً ، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوى ودليل ذلك قول العهد القديم (وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى أئمة بنى لاوى وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لأن الإمامة وخدمة القرابين والبيت المقدس كانت فيهم) ويقول الإمام ابن القيم : وأبناء هارون هؤلاء قتلهم بختنصر على دم واحد وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس ، ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم ، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة (٣) .

تلفيق عزير والأحبار :

ويقول الدكتور محمد أبو النور الحديدى « فلما رأى (عزير) أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ـ ما لفق منه هذه التوراة التى بأيديهم ولذلك بالغوا فى تعظيم عزير غاية المبالغة « وقالت اليهود عزير ابن الله » التوبة : (٣٠) وهنا فتح باب الزيادة والنقص فيها .

وتكشف الأبحاث عن أدلة وافرة لتحريف اليهود للتوراة بأيدى علماء اليهود وأحبارهم ، عن عمد وسوء نية . وقد سجل القرآن عليهم ذلك

فى أكثر من موضع « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون » البقرة : (٧٥) « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذ من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » البقرة ٧٩ وقد كتبوا فى التوراة ما ليس منها ، مما نجم عنه التباس الحق بالباطل كما حذفوا من التوراة ما هو ثابت فيها ، وأبرز هذه التحريفات .

أولا : تغيير صفة الرسول ﷺ التى فى التوراة .

وقد كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل بعثته فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » البقرة ٩٩ .

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عليهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم (الأعراف) ١٥٧ .

ثانياً : تحريفهم الوعد الإلهى لإبراهيم وذريته وقصره على إسحق ليخرجوا منه أبناء إسماعيل ثم حولوه إلى يعقوب ليخرجوا منه عيصو وليحصروه فى سلالة إسرائيل ثم حولوه إلى ذرية داود ليحصروه فى مملكة الجنوب دون مملكة الشمال .

ومن المعروف أن إبراهيم عليه السلام ولد له ولدان إسماعيل من زوجته هاجر المصرية وإسحاق من زوجته سارة ومن ولد إسماعيل جاء العرب ومن ولد إسحق جاء عيصو ويعقوب الذى عرف باسرائيل وأغلب قبائل العرب الشمالية فى شبه الجزيرة تنتسب إلى إسماعيل وأبناء عيصو ،

ولكن سفر التكوين قد حرف هذه الحقيقة ، وحاول حصر وعد الله لإبراهيم فى بنى يعقوب «إسرائيل» وحدهم .

والمعروف أن هذه التوراة كتبت بعد السبى البابلى وأنها استهدفت تسجيل مطامع اليهود فى السيطرة على فلسطين من النيل إلى الفرات ومن هذا التحريف تلك الحملة القاسية على شعوب أرض كنعان التى تمثل العرب والفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين الذين عاشوا بها أكثر من مائة قرن قبل الميلاد كما يقول العلامة « دابو برر » وتناسلوا أن قبيلة اليبوسين والفلسطينيين هى التى أنشأت مدينة أورشليم وكان إسمها « مدينة أور ساليم » حوالى ١٩٠٠ قبل الميلاد وأن اليهود لم يكن لهم عهد بفلسطين إلا فى زمن يوشع بن نون خليفة موسى حوالى ١٤٥٠ ق . م .

يسبون أنبياء الله :

ثالثاً : ما يوجد فى التوراة من تجن وادعاء على الرسل والأنبياء وقذف لهم بتهم يندى لها الجبين وهم أشرف خلق الله ممن اصطفى وأرسل إلى البشر كافة ، وتحمل التوراة إتهامات خطيرة إلى سليمان - بانى الهيكل - ولوطا وداود وهارون ، والأنبياء معصومون عن الخطأ والشر وهم برءاء من كل هذه الانحرافات والاتهامات .

رابعاً : تحويل اليهود من ديانة إلى قومية متعصبة مغلقة ومن هنا حرفت التوراة الأحداث واحتوت إشارة إلى تدمير وإبادة شعوب أرض كنعان وهم العرب .

خامساً : تصوير الله تبارك وتعالى بصورة إله قومى هو إله الحرب ، إله بنى إسرائيل وحدهم مع أن الله تبارك وتعالى هو رب العالمين .

سادساً : لا تذكر التوراة فى شأن البعث كلمة واحدة - وهذا غريب

على كتاب يدعى أنه سماوي ـ ويرجع هذا إلى أن اليهود قد انحرفوا عن التوحيد وأن أمرهم أن أصبحوا عباداً للعجل الذهبي ، وعبد آخر من الأوثان ويقدمون القرابين لكثير من الآلهة بأسماء مختلفة كالبعل والسارية وعشتروت ، وقد حاد بنو إسرائيل عن طريق الهدى وكفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء وعاثوا في الأرض مفسدين ، فنقل الله أمانة النبوة منهم إلى بني إسماعيل وقد سجلت أسفارهم انحرافاتهم وضربات الله بالشتات والنكبات لأنهم إنحرفوا عن شرائع الله ووصاياه .

سابعاً : أكد القرآن الكريم أن اليهود حرفوا شريعتهم لتحقيق أغراضهم الشخصية من كسب المال ، « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » النساء : ٤٦ « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » البقرة : ٧٥.

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » البقرة : ٧٩ .

الفساد العلمي :

وإذا كان هذا عن فساد التوراة من ناحية النص، فإن هناك ما كشفه علماء التجريب من فساد التوراة من ناحية العلم ، ومن ذلك ما ذكره الدكتور بوكاي في رسالته عن (الكتب المقدسة والقرآن والعلم) حيث أشار إلى خطأ التوراة في حساب الزمن ، وقد قرر بوكاي خطأ معطيات التوراة فيما يتعلق بظهور الإنسان على وجه الأرض حيث تشير التوراة إلى أن الإنسان ظهر على وجه الأرض منذ ٥٧٣٦ سنة حسب التقويم العبري وهذا يختلف مع تقدير العلم التجريبي ويقول بوكاي أنه يوجد في التوراة عدة أخطاء علمية بينما لا نجد في القرآن خطأ واحداً ، ولذلك فإني أتساءل كيف يمكن أن يوصف القرآن بأنه بشري بينما استطاع أن يصل إلى هذا

القدر من المعجزات العلمية ، التي لم نستطع إكتشافها إلا بعد أربعة عشر قرناً ، كذلك فقد أشار العلماء إلى تعارض بين العهد القديم والعهد الجديد في عديد من المسائل والقضايا ، من بينها ما يرد في العهد الجديد من إشارة إلى أخوة بني الإنسان في العالم، مما يتعارض مع وجهة النظر الواردة في العهد القديم من الاستعلاء بالعنصر تحت إسم شعب الله المختار .

هامش :

١ — المتحدثون في نقد التوراة يناقشون في هل هي من وضع موسى أم وضعها ناس بعده ، وليس لموسى عليه السلام أن يضع أو يؤلف، وإنما هو وحي تلقاه من الله تعالى ، والكلام بعد ذلك هل ما بين يدي الناس الآن هو وحي الله ؟؟

٢ — الكتابة في كراسات من صفحات — كما هو الحال الآن — لم تعرف إلا بعد الإسلام في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وقبلها كانت أوراق البردي تطوى على شكل لفائف ، وقد اكتشف كثير من لفائف التوراة في كهوف الأردن - منذ سنوات - وأخفيت الدراسات التي تناولتها .. لماذا ؟؟

٣ — ومع ذلك فإن العلماء قد اكتشفوا مجموعة أوراق من توراة ليس فيها ما في التوراة المشهورة من تناقض وإن لم يكن بالإمكان الجزم بأنها أصيلة ، ولكن علماء اللاهوت يخفونها، وأما في زمن النبي ﷺ فإن النص القرآني صريح في أن هناك نصوصاً أصيلة يعرفونها لكنهم يخفونها، وذلك قوله تعالى (وتخفون كثيرا) .

(٥)

الأنجيل

فساد نسبة الأناجيل الأربعة إلى السيد المسيح

تعددت الأبحاث العلمية التي قام بها في السنوات الأخيرة رجال اللاهوت وعلماء التراث، في البحث عن صحة نسبة الأناجيل الموجودة في أيدي الناس ومضامينها، وصلتها بأنجيل عيسى عليه السلام المنزل من السماء، والذي يكشف حقيقة العلاقة بين الله تبارك وتعالى وبين عيسى عليه السلام، بوصفه رسولا من الله إلى بني إسرائيل مصدقا بالتوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعده إسمه أحمد .

ولقد تغير الإتجاه العام في الغرب، ولم يعد يقبل بنظرية الإيمان قبل المعرفة، ودفعته مفاهيم الشك والنقد والتحليل إلى أن يطبق ذلك كله على الكتب المقدسة، التي تبين له أنها من كتابات أفراد من البشر .

رأي بوكاي :

يقول موريس بوكاي : لقد كنا في مرحلة ما من وجودنا، نقبل دون مناقشة بكل ما نلقن إياه في هذا الميدان، ونقبل كل ما يقدم لنا على أنه من الحقائق التي لا نزاع فيها، إلا أن شعور الإيمان يتعرض اليوم لهجمات قاسية .

وإنك فإن الشعور الديني في الغرب — تحت التأثير السائد من اليهودية إلى النصرانية — ليشهد اليوم إنحساراً كبيراً جداً .

ومن الأسباب الأساسية لهذا النفور من الحياة الدينية في البلاد النصرانية فقدان الثقة في الكتب التوراتية، ومن ذلك أنه ما كان أحد يتجرأ فيما يتعلق بالأناجيل أن يشكك في كونها تنقل إلينا كلام عيسى عليه السلام بدقة وإحكام، فهو — كما كان يقال — نتاج شهود مباشرين لرسالته، ألم تكن الأناجيل تدعى « مذكرات الحواريين » ؟؟ ..

غير أن التصورات قد هاجمته بعد سنوات قلائل من المجمع الأخير

بحوث أخذت تظهر إبتداء من ١٩٧٠ وهى من إنتاج لاهوتيين نصارى ، فقد قام هؤلاء بدراسة دقيقة للنصوص، مستعملين كل العناصر التى تمنحها لهم المعرفة العصرية فى مجال علم اللغة وعلم الآثار والتاريخ .. الخ .

فقد أصبح الناس اليوم يسلمون بأن الأناجيل الشرعية الأربعة، ليست سوى ترجمة لما كانت تعتقده فى عيسى جماعات مختلفة ، لا تتفق معه — كما يبدو من النصوص — على رأى واحد، لأن أحداثا فى رسالته قد عولجت بصورة تختلف باختلاف نظرة أصحاب الأناجيل الناطقين بلسان تلك الجماعات إن شروح الترجمة المسكونية الأخيرة للعهد الجديد سنة ١٩٧٢ ، وهى عمل إشترك فى إنتاجه أكثر من مائة أخصائى من الكاثوليك والبروتستانت لتصرح بذلك دون أدنى التباس أو غموض :

نسب عيسى ؟؟ :

فكيف نتصور كون هذه الأناجيل لا تنقل إلينا إلا الحقيقة التى أوحى بها الله عندما نجد فيها مقاطع لا يقبلها العقل إطلاقاً ، مثل هذه السلاسل من نسب عيسى التى هى من تلفيقات خيال (لوقا) و (متى) الذين قدما لنا قوائم لأجداد مختلفة،والتى يتجلى فيها للعيان عدم صحة قائمة (لوقا) بالخصوص .

ألا ينسب هذا الإنجليزى خمسة وسبعين جدا لعيسى منذ آدم ؟؟ إن ما نعرفه عن الحد الأدنى لقدم الإنسان على وجه البسيطة ليجعل مثل هذا القول فى عصرنا هذا أمراً غير مقبول ، فكيف يلقن الله الناس مالا يطابق الواقع ؟؟ .

كما سبق أن لاحظ القديس أوغوسطين — بصدد أصالة نصوص الكتب المقدسة — وكيف يمكن أن نقبل بتناقضات بين قصص كمثال (الخرخة المعجزة) التى قال لوقا إنها حدثت فى زمان عيسى عليه السلام ، بينما قدمها

يوحنا على أنها حدث سيحصل عندما يبعث عيسى من جديد .

إن جميع التناقضات نجد تفسيرها فى البحوث العصرية التى أجراها الخبراء النصارى والذين بينوا : أن صياغات متتالية لنصوص إنجيلية قد لفقت، إنطلاقا من روايات سمعية عن عيسى عليه السلام كانت ذائعة لدى الجماعات النصرانية الأولى وإن ذلك كله أفضى إلى الأناجيل الحالية .

تلاعب الرجال :

وهكذا يقوم الدليل القاطع على تلاعب الرجال بالمعلومات الأولية، بهدف إنتاج نصوص مكتوبة ، يصفها سماحة الأب كانجسير أستاذ معهد باريس الكاثوليكى :« بنصوص مكتوبة للمناسبة أو للنضال » لأنها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات متنافسة تسعى كل واحدة إلى إنقاذ نظراتها الخاصة .

وعلى صعيد العقيدة ذاتها فإن ما قام به اللاهوتيون البريطانيون السبعة — بما فيهم رئيس لجنة مذهب كنيسة إنجلترا — والذين نشروا نتائج أعمالهم سنة ١٩٧٧ تحت عنوان (وهم الإله المجسم) وهو عبارة عن منازعة حقيقية لفكرة التثليث .

وعلى ذلك يمكن القول : إن المعارف العصرية والاستعانة بالمعطيات المفيدة لهذا البحث، أدت فى الغرب إلى تغيير المفاهيم ، التى كانت إلى ذلك الحين مفاهيم تقليدية مسلما بها دون مناقشة وكل شىء يحمل على الاعتقاد بأنه لا يمكن الخروج من القلق الحالى فى الغرب عن طريق صيغ تقريظية، والانتقال من التشكيك فى أصالة مجموع الكتب اليهودية والنصرانية بواسطة معلومات عصرية، إلى رفض الإيمان بالله ، وهو ما يفعله — لسوء الحظ — كثير من العقول المضطربة بفضل هذه الاكتشافات والتى تجهل أو لا تريد الاعتراف بأن وحى الله لا يقف عند حد عيسى عليه السلام وهم إذ يرفضون

إعتبار ما يمكن أن يقدمه لهم الإسلام ، يصلون إلى أن المعارف الدنيوية تقدم المفتاح لجميع المشاكل ، وأن العلم القوى جـــداً سبق نهائياً كل إيمان بالله .

ولقد كنت دائم الاعتقاد بأن المعرفة العلمية كفيلة جداً بأن تعود إلى التفكير فى وجود الله ، وكنت أعرف منذ زمن طويل ما يمكن أن تقودنى إليه أى دراسة للإسلام .

كشف الغطاء :

هذا ما ألقاه الدكتور موريس بوكاى فى الملتقى الإسلامى فى الجزائر عام ١٩٧٨ وكشف به عن الخط الجديد الذى يسير فيه البحث العلمى فى الغرب كاشفاً عن أن الإنجيل الذى فى أيدى الناس اليوم ليس هو إنجيل عيسى عليه السلام ، وأن علماء المسلمين على مدى التاريخ ، وفى العصر الحديث كشفوا هذه الحقائق بصورة أكثر إتقاناً ووضوحاً وقدموها للباحثين .

فقد أشار علماء المسلمين منذ وقت بعيد إلى أن الأناجيل كثرت كثرة عظيمة حتى بلغت ثمانين إنجيلا قبل أن تعترف الكنيسة فى أواخر القرن الثانى الميلادى بأربعة منها ، ومن الأناجيل المحذوفة إنجيل الطفولة والولادة ومريم وإنجيل مرقيون وإنجيل التذكرة وإنجيل سرين وإنجيل برنابا — الذى فيه كثير من التطابق مع ما جاء فى القرآن الكريم من سيرة وحقيقة وأقوال عيسى عليه السلام — وقد تبين من اليوم الأول ما بين الأناجيل الأربعة من خلاف .

— خلاف فى عدد رسائل العهد الجديد .

— خلاف بين الطبعة البروتستانية والطبعة الكاثوليكية .

— خلاف فى ظروف ولغات وأشخاص وكتاب الأناجيل الأناجيل الأربعة .

متى كتبت هذه الكتب ؟ :

والمعروف أن هذه الأناجيل كتبت بعد وفاة سيدنا عيسى - لتحتوى قصة حياته ورسالته وتعاليمه - بمدة طويلة تتراوح بين عام ٣٧ وعام ٩٨ بعد الميلاد أى فى خلال ستين سنة ، ولم تدخل هذه الأناجل فى عداد الكتب المقدسة إلا فى القرن الرابع الميلادى ، بإقرار مجمع نيقيه العام وحكمه ، كما أشار المطران عبد الأحد فى كتابه (الإنجيـــل والصليب) ، وهذه الأناجيل لا يمكن أن يصدق عليها ولا على أى واحد منها تسميته (الإنجيل) الذى نزل على سيدنا عيسى عليه السلام ، والذى ذكره القرآن الكريم .

فالإنجيل المنزل يؤكد عدة حقائق خلت منها الأناجيل المتداولة :

أولا - يؤكد أن عيسى عليه السلام رسول الله إلى بنى إسرائيل ، وأنه جاء ليضع عن اليهود إصرهم والأغلال التى كانت عليهم وأنه بدعوته ورسالته مصدق لما بين يديه من التوراة ، ومبشر برسول يأتى من بعده إسمه أحمد . ومعنى هذا أن عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل ، وأن الرسالة التى حملها مكملة لدعوة موسى عليه السلام وليست رسالة مستقلة لها شريعة خاصة ، وأنها جاءت لبنى إسرائيل وحدهم .

ثانياً - أن يستتبع ذلك أن يقوم أتباع عيسى عليه السلام بالإيمان بالرسول النبى الأمى ، الذى مكتوب صفته عندهم فى التوراة والإنجيل عند ما يظهر .

ومما يذكر أن أهل الكتاب كانوا قد أعلنوا قبيل بعثة الرسول ﷺ أن زمن البعثة قد أظل وكان اليهود يقسمون به على خصومهم فلما ظهر ولم يكن من اليهود غيروا صفته فى كتبهم ، وقد سجلت سورة الأعراف صفات رسول الله النبى (١) الأمى وأشارت إلى أنها مكتوبة فى الإنجيل ، وقد أجمع

الباحثون على عدة حقائق :

أولا ـ أن كتاب الأناجيل دونوا أحداثاً سمعوها من رواة متعددين ، وقد حفلت بالزيادات والنقص والتوهم والتناقض بدليل ما بين الأناجيل من تباين ، كثير من الأحداث والصور والأقوال ، وليس فيها شيء من إملاء عيسى عليه السلام .

ثانياً ـ تناقض الأناجيل الأربعة وتباينها في كثير من المواقف ، فليست الأناجيل الموجودة فى أيدى الناس إلا ترجمة لحياة عيسى عليه السلام كتبها أناس بعده سماعا أو رواية ، وليس منها ما يدل على أنها ـ أو أن فيها شيئاً ـ من أملائه كشأن القرآن الكريم ، الذى هو من إملاء النبى ﷺ مباشرة فور نزول الوحى به .

ثالثاً ـ ليس من هذه الأناجيل ما هو إنجيل عيسى عليه السلام ، بل أن فى هذه الأناجيل إشارات على وجود إنجيل عيسى (الاصحاح الأول والسادس من إنجيل مرقص) ولا يوجـــد الآن إنجيل يصدق عليه وصف القرآن .

رابعاً ـ فى الأناجيل المتداولة المعترف بها أشياء مما تلقاه عيسى عليه السلام ، واحتواء الإنجيل الذى أتاه الله وعلمه إياه وأنزله عليه ، وهذا دليل على أنها ليست ذلك الإنجيل المشار إليه فى تلك المحتويات .

خامساً ـ فى سيرة عيسى التى أوردتها الأناجيل المتداولة تباين وتناقض ، وتوهمات يتنزه عنها كتاب الله .

سادساً ـ كذب القرآن الكريم دعوى أى من الأناجيل المعروفة فى الإدعاء بأن عيسى عليه السلام إله أو ابن الله .

« لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة

ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » المائدة : ٧٢ .

« وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » الصف ٦ .

ومعنى هذا كله ، أن هذه الأناجيل لا يمكن أن تكون بديلة عن الإنجيل الذى قرر القرآن الكريم أن الله أنزله وأتاه عيسى عليه السلام .

الحقائق التى أخفوها :

أورد علماء المسلمين فى بيان الكشف عن صحة هذه الأناجيل حقائق كثيرة منها ما ورد من أمور عديدة فى القرآن الكريم لم ترد فى الأناجيل المتداولة مثل :

١ ـ فزع وحزن مريم حينما أخذها المخاض وأجرى الله لها عين ماء لتشرب منها وهزها النخلة ليتساقط عليها رطباً جنياً وخطاب عيسى عقب ولادته لتهدئتها وتخفيف حزنها وفزعها .

٢ ـ خطاب بنى إسرائيل لها حينما أتت تحمله وغمزهم لها وخطاب عيسى لهم وإعلانه أنه عبد الله ونبيه وأنه مأمور بالصلاة والزكاة من الله .

٣ ـ صفات النبى الأمى ﷺ .

٤ ـ طلب الحواريين إنزال المائدة (٢) ، وإنزال الله المائدة بناء على ذلك .

شبهات الدراسات الحديثة :

تقرر الكتابات الحديثة لدراسات الإنجيل عدة حقائق منها :

أولا ـ أن كثيراً من الكتب النصرانية التى يشتمل عليها (العهد الجديد)

قد كتبت ثم نسبت إلى أشخاص ماتوا أو قتلوا قبل التواريخ المقررة لها بعشرات السنين . وفى جميع الأحوال يجب أن تتذكر أن التاريخ المرجح لنهاية حياة المسيح عليه السلام على الأرض قبل رفعه إلى السماء من حوالى عام ٣٣ م ، وبذلك يكون أقدم الاناجيل هو (إنجيل مرقس) ، وقد قيل أن مرقس كاتب الانجيل هو أحد تلاميذ بولس وتابعيه ، وقيل أنه ما سمع عيسى عليه السلام قط ، ولا كان تابعاً شخصياً له ، لكنه فى مرحلة متأخرة قد تبع بطرس .

كذلك فإن أقدم الاسفار المسيحية التى تلقتها الكنائس الاولى لم تكن هذه الاناجيل ، بل كانت رسائل بولس ـ ذلك الداعية اليهودى الذى أعلن تحوله فجأة إلى النصرانية ، بطريقة ارتاب فيها رسل المسيح وتلاميذه ، ولم تخف ريبتهم إلا بعد أن شهد له برنابا ، ولكن تعاليم بولس هى التى شاعت وكان لها الغلبة كما أن رسائل بولس هى التى سبقت الاناجيل فى الكتابة ، ولم تزل تتقدم عنها فى الاستشهاد بها فى الدراسات والتعليم النصرانى حتى اليوم .

ثانياً ـ كان « متى » صاحب أقدم الاناجيل أحد تلاميذ المسيح الإثنى عشر ، أما لوقا فقد رافق بولس فى بعض أسفاره وأعماله ولم يكن من الحواريين واعترف بأنه لم يرى المسيح ولم يكن من تلاميذه ، ولكنه كتب رسالته بناء على توقعات التى تسلمها من الذين عاينوا المسيح وكانوا فى خدمته .

إنجيل مضاد :

أما إنجيل يوحنا فقد تناولته الابحاث بتوسع ، ذلك لانه وحده بين الاناجيل الاربعة الذى وردت فيه فقرات صريحة تنسب إلى المسيح الالوهية ، وقد كتب عام ٩٥ أو ٩٨ على ما اعتمد عليه الدكتور بوست فى

وقد وردت روايات متعددة تؤكد أنه كتب لغرض خاص : هو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله وأن كثيراً من فرق الشرق كانت تقرر هذه الحقيقة ، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية بل إن هناك إجماعا على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التى اختلفوا فى شأنها لعدم وجود نص فى الأناجيل الثلاثة السابقة عليه .

وقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فيها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه :

« أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى ذلك الكاتب المزور أنه من الحواريين الذين يحبهم المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت إسمه على الكتاب نصاً ، مع أن صاحبه غير يوحنا، ولا يخرج عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين ما نسبت إليه » .

ويقول الباحثون : إن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها مايدل على ألوهية المسيح أو هى كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل والحقيقة هى أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح ، وأن الأساقفة إعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذى يدل عليها ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقاً يثبت ذلك ، فاتجهوا إلى يوحنا فكتب ، كما يقول إنجيله ، الذى يشتمل على الحجة وبرهان القضية .

مادة التثليث مستحدثة :

ومن ناحية أخرى فقد اعترف كبار علماء اللاهوت فى قاموس الكتاب المقدس : أن مادة التثليث لم ترد فى الكتاب المقدس ويظن أن أول من صاغها هو ترنفيان فى القرن الثانى للميلاد ، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقية أقر التثليث عام ٣٢٥ .

وأشار بعض المؤرخين النصارى أمثال سلوس واكهارت ولاردنر وهاروت إشارة واضحة إلى الشك فى النصوص ، وإلى أن النصارى بدلوا أناجيلهم عدة مرات ، وأن هذا التبديل شمل المضامين ، وأن أغلب مصنفى الأناجيل كانوا جهلة وأن المشايخ الأقدمين صدقوا الروايات الواهية وكتبوها ، وقبلها الذين جاءوا من بعدهم تعظيماً لهم ، وأن الروايات الصادقة والكاذبة توصلت من كاتب إلى كاتب آخر وتعذر نقدها بعد إنقضاء المدة .

لماذا رفضوه ؟ :

ومن ناحية أخرى فقد رفضت المراجع النصرانية إنجيل برنابا — الذى يعد أقرب الأناجيل تطابقاً مع القرآن الكريم وأقوال عيسى بن مريم وخاصة من جهة إعترافه بالسيد المسيح نبيا — فإنجيل برنابا لا يعتبر المسيح ابن الله ولا يعتبره إلها ويؤكد أن الذبيح الذى تقدم به إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل وليس إسحاق ، ويبشر بظهور سيدنا محمد ﷺ ، ويؤكد إنجيل برنابا أن المسيح لم يصلب ، ويدعو إلى توحيد الله توحيداً خالصاً .

ولم يكن برنابا شخصاً مجهولا ولكنه واحد من أبرز الأسماء ، وقد ذكر فى الإصحاح الرابع لإنجيل لوقا ، والإصحاح التاسع من الرسالة ، والإصحاح الحادى عشر ، وإنه لما جاء بولس إلى أورشليم — وكان الجميع يخافونه — أخذه برنابا وأحضره إلى أصحابه .

واتفق على أن النسخ الأولى من هذا الإنجيل كانت باللغة الإيطالية ، عثر عليها الراهب كريمر عام ١٧٠٩ ثم انتقلت من راهب نصرانى إلى البلاط الملكى فى فينا فى حماية دولة نصرانية ١٧٣٨ ووجدت نسخة أسبانية مترجمة عن الإيطالية . وهى نفسها التى نقلها المستشرق إلى الإنجليزية .

وكان الراهب اللاتينى فرامينو قد اطلع على رسالة لايانوس واستنكر ما كتبه بولس ، مستشهداً بما كتبه برنابا ، فدفعه حب الحقيقة إلى البحث عن إنجيل برنابا ، حتى وصل إلى مرتبة سامية فى نفس البابا فوجد إنجيل برنابا فى مكتب البابا ، فأخذه وتفهمه ثم أسلم . (وزمن البابا سكوت الخامس هو آخر القرن السادس عشر الميلادى) .

وقد بشر إنجيل برنابا بالنبوة المحمدية حين نقل عبارات السيد المسيح (إن الآيات التى يفعلها الله على يدى تظهر إنى أتكلم بما يريد الله ، ولست أحسب نفسى نظير الذى يقولون عنه ، لأنى لست أهلا لأن أحل رباطات أو سيور حذاء رسول الله الذى يسمونه « مسيا » ، الذى خلق قبلى وسيأتى بعدى بكلام الحق ولا تكون لدينه نهاية .

ويقول الدكتور سعادة أن مسيا هنا هو محمد ﷺ وأن برنابا ذكر محمداً ﷺ باللفظ الصريح فى عـــدة فصول ووصفه بأنه رسول الله ، وذكر أن آدم لما طرد من الجنة رأى سطوراً كتبت فوقها بأحرف من نور « لا إله إلا الله : محمد رسول الله » .

كل هذه الحقائق هى التى دفعت المجامع الكنسية بتحريم إنجيل برنابا مع أن برنابا يحتل منزلة رفيعة فى النصرانية من حيث المكانة والزمان والثقافة والتقوى .

وقد أعلن برنابا خلافه مع صديقه الذى لا يتكلم عنه إلا مع الأسى

« بولس » الذى غير وبدل وقال : « أنه السبب الذى لأجله أسطر الحق الذى رأيته » .

ويعد إنجيل برنابا أكبر وثيقة فضحت التفسيرات الباطلة فهو يؤكد وقوع الصلب على يهوذا كما ينفى تأليه السيد المسيح .

خاتمـــة :

وخير ما يختم به البحث تلك العبارات التى سجلها الشاعر القروى «رشيد سليم الخورى» فى وصيته حين قال : إن الكنيسة المسيحية ظلت حتى مطلع القرن الرابع الميلادى تعبد الله على أنه الواحد الأحد، وأن يسوع المسيح عبده ورسوله حتى تنصر قسطنطين عاهل الروم وتبعه خلق كثير من رعاياه اليونان والرومان ، فأدخلوا بدعة التثليث وجعلوا لله سبحانه وتعالى أندادا شاركوه منذ الأزل فى خلق السموات والأرض وتدبير الأكوان ومالأهم الأسقف الانطاكى « مكاريوس » فثار زميله الأسقف «أريوس» على هذه البدعة ثورة عنيفة شطرت الكنيسة واتسع بين الطائفتين نطاق الجدل حتى أدى إلى الاقتتال . وفاز أريوس بالحجة القاطعة فى المجامع ، بيد أن السلطة وضعت ثقلها فى الميزان فأسكتت صوت الحق، وانفذت صوت الباطل ، واستمر المسيحيون يعمهون فى ضلالتهم والحق يتململ فى قيده منتظراً أريوساً جديداً .

ومن هذا العرض يظهر فى وضوح أن ما أخذت الدراسات العلمية المعاصرة تتكشف عنه اليوم، فيما كان قد عرضه فى جلاء علماء المسلمين ابن تيمية وابن حزم فى القديم ، والشيخ أبو زهرة وأحمد شلبى ودروزة ومؤلف إظهار الحق « رحمة الله الهندى » فى الحديث .

١ — الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم

فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم (الأعراف) ١٥٧ .

— ذكرت قصة المائدة فى الأناجيل الأربعة بصور مختلفة فى أسبابها وملابساتها عما ورد فى القرآن الكريم وعرفت فى الأناجيل باسم العشاء الأخير .

— يعنى منسوب إلى يوحنا زوراً .

— والواقع فيما عدا هذه الدراسات أن طوائف عدة من النصارى مثل الأريوسيين والباسيليدين والكوبوكرانيين ظلوا رغم المزاعم المؤلهة على إيمانهم ببشرية المسيح ومعارضتهم للتثليث حتى عقد مؤتمر نيقية وأعلن كفر أريوس وأتباعه والتنكيل بهم .

(٦)

نظرية الخطيئة الأصلية

لا ريب أن المنهج العلمى حين يطبق بدقة وأمانة يكشف زيف أى فكرة لا تلتقى مع الفطرة أو العقل أو سنن الطبيعة : هذا المنهج العلمى النزيه قد وضعه الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً وطبقه وجعل حصانته الإنصاف والعدل أو إتباع الظن وتقديم البرهان . هذا المنهج العلمى النزيه قد أخذه الفكر الغربى ولم يحسن تطبيقه حين غلبت عليه الأهواء والظنون ، ولكنه الآن يشق طريقه فى فهم حقائق الدين والكتب المقدسة وقد قطع مراحل واسعة . كشفت كثيراً من الحقائق التى كانت فى الماضى من المسلمات التى لا تناقش ، وما يزال هذا المنهج العلمى قادراً حين يطبق بأيدى علماء منصفين أن يصل إلى نتائج واضحة .

ميراث وثنى :

وأخطر ما تتعرض له المفاهيم الغربية الآن : فكرة « الخطيئة الأصلية » ، هذه الفكرة التى دخلت إلى الفكر الغربى النصرانى من الأساطير التى عرفتها أوربا وأهمها ديانة (مثرا)التى كانوا يسمونه (مثرا إله الخلاص) ، حتى أن بعض الباحثين أعلن فى وضوح بأن النصرانية هى : المثراوية فى ثوب جديد . والمثراوية تحوى المعمودية والعشاء الربانى كما أن النصرانية نقلت عن ديانة قدماء المصريين التثليث (إزيس وأوزريس وحورس) وهى معروفة فى ديانات الهند .

لب الخطيئة والمعمودية :

وتقوم فكرة الخطيئة على مفهوم باطل عماده : أن هناك خطيئة أصلية ورثها الإنسان عن أبيه آدم وأن الله (جل وعلا) قد تجسد فى جسد إنسانى افتداء للبشر عن خطاياهم . وأن هذا الإنسان مات على الصليب .

ففكرة الخطيئة تحمل فى تضاعيفها « التثليث والصلب والفداء » .

وتكتمل النظرية الفلسفية المنقولة من الديانة المثروية ، بما تعتقده النصرانية من أن الإنسان يولد إنساناً مذنباً خاطئاً حاملا لما يسمى « الخطيئة الأصلية » التى ورثها عن أبيه آدم، وأن الإنسان يولد والخطيئة فى إهابه وملء عروقه ، وأن الناس كلهم فى نظر الكنيسة هم أبناء الخطيئة الكبرى . وبذرة الثمرة المحرمة التى أكل منها الأب الأكبر « آدم » عاصياً بذلك أمر الله ، وهى بهذا الحكم القاسى تدفع الإنسان إلى التعميد ليتطهر وأن المسيح قدم دمه قرباناً لله ليمحو عن أبناء آدم ميراث الخطيئة الذى اقتسموه فيما بينهم ، وأن القدرة على غفران الخطايا انحـــدرت بالتوارث عن الرسل إلى المطارنة ثم إلى البابوات ، كما جعلت الكنيسة إليها حق غفران الذنب وأعطت نفسها حق تجريد الناس من الفضائل وحق الحرمان وهو سلاح أساء رجال الدين النصرانى استعماله .

نشأة الإنحراف الملحد :

هذه بإيجاز فكرة الخطيئة التى كان لها أثرها الكبير ولا يزال فى الذهنية الأوربية سلباً وإيجاباً ، وهى منشأ كثير من المدارس الملحدة ، وخاصة الفرودية والوجودية والهيبية، وقد نشأ الصراع حولها فى الأدب الغربى والفكر الغربى وكان له أثره فى كثير من نظريات السياسة الأوربية وبالتالى لها تأثيرها الواضح على المنهج العلمانى الوافد إلى أفق الفكر الإسلامى . بينما لا تتصل هذه القضية أساساً بالإسلام الذى ينكر وراثة الخطيئة ويرى أن كل امرىء بما كسب رهين .

إنهيار النظرية الفاسدة :

وقد تبين للفكر الغربى اليوم عن طريق بعض العلماء المتخصصين المنصفين فساد نظرية الخطيئة بعد أن أعلن القرآن فسادها منذ أربعة عشر قرناً ، فقد وقف العلماء اليوم أمام هذه المفاهيم التى قدمتها الكتب المقدسة

وعباراتها ونظروا إليها نظرة الشك والارتياب، وقالوا أنها ليست حقائق وإنما هى رموز وكتابات تمثل فكراً قديماً أقدم من النصرانية، وصدق الله العظيم إذ يقول «يضاهئون قول الذين كفروا من قبل» التوبة: ٣٠، بل إن البحث العلمى الحديث فى مجال اللاهوت أثبت أنه ليس فى كتب النصارى ما يدل على أن السيد المسيح عليه السلام قال بهذه الأقانيم الثلاثة بل فيها ما يدل على إنسانيته وبشريته وعبوديته لله تبارك وتعالى وتقول دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية:

أن تلاميذ المسيح الأولين، الذين عرفوا شخصيته وسمعوا قوله كانوا أبعد الناس عن الاعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق.

ولا تزر وازرة وزر أخرى:

أما الإسلام فقد حرر العقل البشرى من فكرة الخطيئة الأصلية. وشرورها التى توالت مدى القرون، ونشأت من أجلها حروب ومعارك. وقد اعتبر الإسلام أن هذه «المعصية» لا «الخطيئة» قد انتهى أمرها فى حياة آدم نفسه، «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم» البقرة: ٣٧. وكانت توبة آدم ماحية لمعصيته فى الدنيا والآخرة وأن الله تبارك وتعالى كتب فى صحف إبراهيم وموسى، «أم لم ينبأ بما فى صحف موسى، وإبراهيم الذى وفى، ألا تزر وازرة وزر أخرى» النجم ٣٦، ٣٨.

فلا يرث مولود خطيئة والد، «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» والإسلام لا يقر ما يسمى الخطيئة الأصلية، وفى مفهومه أن معصية الإنسان تعود إلى فعل عوامل خارجية وأن كل مولود يولد على الفطرة

فأبواه ، أى محيطه ومجتمعه والنظام الذى يحيا فى ظله ، يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

صفحة بيضاء :

وفى نظر الإسلام يولد الإنسان طاهراً نقياً وأنه صفحة بيضاء لم يخط عليها شيء بعد والانسان فى سيره هو الذى يعطى هذه الصفحة البيضاء صفتها بعد ذلك، ويقرر الاسلام أنه ليست هناك خطيئة موروثة وأن أعمال الآباء لا يؤخذ بجريرتها الأبناء ولا يجعل الإسلام الغفران أو الحرمان على يد أحد من الناس حتى النبى ، فمغفرة الذنوب لله وحده ، والناس فى شريعة الاسلام سواء أمام الخالق جل وعلا وأقربهم إليه وأولاهم بفضله ومغفرته أكثرهم تقوى وإحساناً ، وباب التقوى مفتوح أمام الناس جميعاً .

ويقول البحث العلمى أن فكرة صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر فكرة فاسدة ، وقد بين الاسلام ذلك فقال أن الله تبارك وتعالى لا يعاقب ذرية آدم بسبب معصية أبيهم وأن القول بأن عيسى ابن الله ووحيده توسط لأن يظهر فى شكل إنسان يصلب ظلماً للتكفير عن خطيئة البشر قول باطل ، كما يرى الاسلام أن الإنسان حر الإرادة وأن إرادته تلزمه التبعة والمسئولية أمام ربه ويقرر عدم وراثة الخطيئة .

أين الحقيقة :

ولا شك أن قيام العقيدة النصرانية على تجسيد الله فى جسد إنسان إفتداء للبشر من خطاياهم ، وموته على الصليب قد أثار الشكوك فى معظم أصحاب الفكر ، ودفعهم إلى البحث عن الحقيقة خارج نطاق المفهوم اللاهوتى ، وقد أعطى القرآن البشرية أول انطلاقة للعقل للتفكير خارج

دائرة الأهواء والموروثات الباطلة والمسلمات الزائفة فتح الطريق أمام الكثيرين للوصول إلى الحقيقة .

إثبات العلم .

ثانيا - رفض البحث العلمى فكرة النصرانية عن الرهبانية ، حيث تقول إن الطبيعة البشرية فاسدة أفسدتها الخطيئة ، ولا سبيل إلى إصلاحها وأنه علينا أن نقتل فى أنفسنا الرجل القديم بتعذيب الجسم ، أعنى أن نموت لنحيا من جديد ، وأن تكون تربية الفرد ليس فى تعهد ميوله بالنماء بل فى اقتلاع ميله الأساسى إلى الشهوات .

وقال البحث العلمى : أن هذا تكليف للطبيعة البشرية فوق ما تستطيع بحيث لا يمكن إملاء ذلك على الأغلبية من البشر وقد أعلن القرآن فساد هذه النظرية منذ أربعة عشر قرناً ، « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها » الحديد : ٢٧ .

ذلك أن الرهبانية حين انتشرت وطبقت كعقيدة ، أفسدت الحياة الاجتماعية ، وأخلت بكل نظم العمران ، فقد فصلت الانسان عن الحياة اعتماداً على قول القائل : « لا تهتموا لحياتكم ولا لأجسادكم » حيث أثبت البحث العلمى أن نظرية الغلو فى تحطيم شهوات البدن الطبيعية واحتقار الجسد من شأنه أن يؤدى إلى إفساد أخلاق الأفراد ، وتعليمهم النفاق والكذب ، وإرغامهم على مخادعة المجتمع والظهور بمظهر الفضيلة .

العمل الجاد والجهاد :

فقد كشف القرآن الكريم ذلك كله منذ نزوله ودعا الإنسان إلى العمل فى الحياة بروح العزوف عن الشهوات وإقامة المجتمع الربانى ،

وجعل جزاء المؤمن المجاهد فى داخل المجتمع أعظم من المؤمن المعتزل عنه ، وألغى الترهب والنسك على ذلك النحو الذى عرفته المسيحية ، وقال رسول الله ﷺ : « إن رهبانية أمتى الجهاد » . وقد كان مفهوم الاسلام هذا هو منطلق التجريب والبحث العلمى الصحيح الذى كشف مناهج العلم فى مجال الفلك والكيمياء والطبيعة والأحياء ، وصنع المنهج العلمى التجريبى الذى قامت عليه الحضارة العالمية المعاصرة ولقد كان لهذه الموجة من الرهبان أثرها البعيد فى الموجة الحالية من الكشف والجنس والاقبال على الحياة فهى ردة فعل عارمة للرهبانية القديمة .

جلال العاطفة وحلال السلوك :

أما الإسلام فقد ربط بين العواطف والمشاعر ، وأحل الروابط الجنسية وحلال المطعم والملبس وفتح الأبواب أمام الرغبات النفسية فى إطارها الطبيعى ، وضوابطها الحقة حماية للإنسان من الإنهيار ودعا إلى الجمع بين العمل للدنيا والآخرة « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك » القصص : ٧٧ ، بينما كانت دعوة المسيحية قاصرة على العمل للحياة الأخرى ، حين قررت أن حياة الإنسان ليست فى هذه الدنيا وإنما فى العالم الآخر .

ولم تكن الرهبانية من دين عيسى عليه السلام ولكنها دخيلة عليه ، وقد عرفت ومورست فى الهند وأقاليم آسيوية أخرى وعرفتها البوذية وأديان الشرق الوثنية .

صورة بشعة :

وقال ليكى فى كتابه (تاريخ أخلاق أوربا) لقد ابتدعت المسيحية رهبانية أخطر من إباحية روما الوثنية تقوم على تعذيب الجسد ، فهناك من يقف

على قدم واحدة ثلاث سنين ، ومن يحمل نحو قنطار من حديد ، وقد هجروا بيوتهم وأسرهم بدون طعام ، وساروا بشعرهم الطويل يمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام يسكنون مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر ، ويأكلون الكلأ والحشائش ويعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون من غسل أعضائهم وأتقاهم أوغلهم في النجاسات والدنس ، ومنهم من لم يمس الماء جلده طوال عمره ، ومنهم من لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة .

هذه هي صورة معارضة الفطرة التي حطمت المجتمع الغربي قبل بزوغ الإسلام الذي كان صاحب الفضل في دعوة البشرية إلى العمل والعمران .

الانشطار والانقسام :

ثالثاً - أنكر البحث العلمي الحديث فكرة النصرانية عن الانشطار بين النفس والجسم حيث يقول : أن الإنسان مؤلف من عنصرين : النفس والجسم وأن هناك صراعاً مستمراً بينهما وأن الكمال الروحي الذي ينشده الإنسان لا يتم إلا إذا فارقت الروح الجسد بالموت أو أماتته من حياته .

ولقد أعلن الإسلام فساد هذا المنهج قبل أربعة عشر قرناً حين قرر أن الإنسان جامع للروح والجسد وليس روحاً خالصة ولا مادة خالصة وأن عمله جامع للدنيا والآخرة .

وقد كان هذا التفريق بين الروح والجسد مصدر انصراف كثير من الباحثين الغربيين عن النصرانية لمجافاته للفطرة والعلم : يقول ليوبولد فايس (محمد أسد) : لقد كان مفهوم المسيحية عن الله في نظري أفضل إلى حد

لا نهاية له من مفهوم العهد القديم بيد أنه كان هناك عنصر واحد من النظرة الدينية النصرانية كان ينتقص من عالميته هى تمييز، وتفريقه بين الروح والجسد بين عالم المعتقد وعالم الشئون العملية وبسبب من اقتران النصرانية الباكر هذا عن جميع النزعات والميول التى تهدف إلى تركيد الحياة والمساعى الدنيوية . فقد شعرت أنها كانت انقطعت منذ زمن طويل عن أن تقدم قوة أدبية أخلاقية دافعة إلى المدنية الغربية . فقد ألف أتباعها الفكرة القائلة ، بأنه لم يكن من شأن الدين أن « يتدخل » فى الحياة العلمية ، لقد اكتفوا أن ينظروا إلى المعتقد الدينى نظرتهم إلى تقليد مسكن لم يقصد به أن يغذى أكثر من معنى غامض للفضيلة الشخصية ، وخاصة الفضيلة الجنسية فى الرجال والنساء افراداً . وكان يساعدهم على هذا اتجاه قديم جداً اصطنعته الكنيسة لم يحدث اتباعا لمبدأ الفصل بين ما لله وما لقيصر فى حقل النشاطات الاجتماعية والاقتصادية فقد كان نتيجة ذلك تلك السياسة المنحازة فى ظل النصرانية قد تطورت فى اتجاه مخالف كل الاختلاف عن ذلك الذى كان المسيح قد دعا إليه .

لقد فشل الدين الذى اعتنقه الغرب بسبب من عدم تزويد، أتباعه بارشاد ثابت مقرر فى شئونهم الدنيوية فى ما كان فى رأيى يبدو أنه رسالة المسيح الحقيقية ، وأنه فى الحق المهمة الرئيسية لكل دين : أن يبين للإنسان كيف يحيا حياة صالحة ، وبشعور غريزى فإن دينه قد خيب أمله ، وبطريقة ما فقد الإنسان الغربى خلال القرون كل إيمانه الحقيقى بالنصرانية وبفقده هـــذا الإيمان ، فقد الاقتناع بأن الكون كان تعبيراً لقوة واحدة منظمة ، وأنه لذلك كان يشكل كلا عضوياً واحداً ، وبسبب فقدهذا الاقتناع يعيش الغربى الآن فراغا روحيا أخلاقيا .

لقد رأيت فى ترك الغرب التدريجى للنصرانية وانصرافه عنها ، ثورة

ضد إزدراء الحياة التى بشر بها بولس والتى إتهمت قديماً جداً وتماماً جداً تعاليم المسيح ، فكيف إذن يستطيع المجتمع الغربى أن يستمر فى إدعائه أنه مجتمع مسيحى وكيف يستطيع أن يرجو دونما إيمان ثابت أن يتغلب على فوضاه الأدبية والأخلاقية الحاضرة .

إن انشطار شرعية الدوافع الجسمانية يتضمن بصورة غير مباشرة إنشطارا لكل القيم الأخلاقية فى المساعى البشرية ذلك لأن وجود الدوافع والإغراءات والتناقضات — أى مكان الاختيار — هو وحده الذى يجعل الإنسان والإنسان وحده كائناً أخلاقياً ، كائنا ذا روح .

الإنسان روح وجسد :

وعلى أساس هذا المفهوم يعتبر الإسلام — من دون سائر الأديان السماوية جميعا — روح الإنسان ناحية واحدة من شخصيته ، لا ظاهرة مستقلة وبالتالى فإن نمو الإنسان الروحى فى نظر الإسلام مرتبط إرتباطاً لا إنفصام له بجميع جوانب طبيعته الأخرى ، وأن الدوافع الجسمانية جزء متمم لطبيعته فهى ليست نتيجة لأى « خطيئة » أولى، ذلك المفهوم الغريب عن تعاليم الإسلام، بل هى قوى إيجابية وهبها الله للإنسان فيجب أن يتقبلها وأن يفيد منها .

ومن هنا فإن مشكلة الإنسان ليست فى كيف يكبت مطالب جسده بل كيف يوفق بينها وبين مطالب روحه بطريقة تجعل الحياة مترعة وصالحة ويعطى للجسد حقه مما أحله والروح نور الله الهادى إلى سواء الصراط .

وخير أصيل :

إن جذور هذا التوكيد الإيجابى للحياة الإنسانية إنما توجد فى النظرة

الإسلامية القائلة بأن الإنسان مفطور على الخير وبخلاف الفكرة المسيحية القائلة بأن الإنسان يولد مكسوا بالخطيئة الأولى ، أو بالعقيدة الهندوسية القائلة بأنه منحط ونجس أصلا ، ويجب أن يتغير عبر سلسلة طويلة من التناسخ نحو الكمال بخلاف ذلك كله يقول الكريم فى القرآن الكريم : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » .

أى فى حالة من الطهارة لايمكن أن تفسد إلا عن طريق السلوك السيء من بعد ، « ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

رابعاً ـ عقيدة التثليث :

لقد كشف البحث العلمى الصحيح فساد فكرة التثليث وكانت سبباً فى تحول بعض المفكرين من النصرانية لمجافاتها للفطرة والعقل .

يقول الدكتور خالد شلدريك الذى أسلم بعد أن عجز عن فهم عقيدة التثليث : أن عقيدة الأب والإبن من عقائد الوثنيين القدماء فإن البوذيين يعبدون (بوذا) فى طفولته مع أمه (ياما) فى نفس الصورة التى نراها منقوشة فى كل كنيسة للمسيح فى طفولته مع أمه مريم .

وقد إتخذ النصارى من عيد الوثنيين للاعتدال الخريفى (٢٥ ديسمبر) موعد ولادة الشمس عيداً لميلاد المسيح .

وفى الحقيقة أن الشخصية التى يدعيها النصارى للمسيح ليست تاريخية قطعاً ، والباحث بالأساليب العلمية ايرى مبلغ ذلك من الواقع يخرج من تحته صفر اليدين ، واعتبر ذلك البعد من الواقعية فى أشكال الصور التى يصورون بها المسيح فإنك تجد صورته فى بلاد الشرق غير صورته فى إيطاليا مثلا ، ولاتستطيع بعد التأمل أن تستدل من هذه الصورة على تعيين صورة المسيح التى كان عليها حقا .

ولا شك أن عقيدة التوحيد التى إمتاز بها الإسلام هى أصح العقائد التى عرفها البشر ، وهى كاملة فى توحيــــد الألوهية وتوحيد الربوبية والإعتراف بجميع الأنبياء وإعلان صفات الكمال لبارىء الكون جل جلاله .

خامساً ـ التعقيد :

يقول اللورد هدلى الذى ترك النصرانية إلى الإسلام : إن أعظم ما ترك الإسلام فى نفسى ما تجلى لى من البساطة والحقيقة بحيث وجدته يمتاز على غيره ببساطته وخلوه من كل مغالطة أو إبهام ، هذا الدين الذى ليس فيه أثر للاحتمالات والخيالات التى لا يسع العقل إلا التسليم بها ، بل هو الدين الذى يدعو الإنسان إلى الثقة الكاملة بعدل الله ورحمته .

كنت لا أعرف كيف أستطيع أن أؤمن بالمبدأ النصرانى القائل (إذا كنت لا تؤمن بألوهية المسيح فلا تنجو من عذاب جهنم الأبدى ، وإذا لم تأكل جسد المسيح وتشرب دمه فلن تنجو أبداً) ، لذلك كنت فى دخيلة نفسى ثائراً على الديانة النصرانية منذ الصغر ، أن عدم تسامح المتمسكين بالنصرانية كان أكبر سبب فى خروجى عن جامعتهم ، أو طهارة الإسلام وسهولته وبعده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته كانت كل هذه الأشياء أكبر ما أثر فى نفسى .

ويقول الدكتور عبد الكريم جرمانوس : لقد أعاد الإسلام الدين إلى حالته الطبيعية ولم يأت بشىء من تلك العقائد الفلسفية بل قال بكل وضوح : لا إله إلا الله .

وبذلك خلا الإسلام من ذلك الاعتقاد الذى قسم الدول الأوربية فأتى بعقيدة سهلة التناول ملائمة للفطرة وأعطى المسلمون الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار فتقدمت الفنون والآداب والعلوم باجتهادهم الذى عجز عنه

النصارى وقضى الإسلام على عادة النسك وجعل الاشتغال بالدنيا والآخرة معاً هدفاً للإنسان ، وكان أهله مستعينين بروح التسامح .

وبعــــد :

فإن هذه الوثائق والنصوص كلها من رجال عرفوا أبعاد الأمور وفساد النظريات البشرية تكشف بوضوح عن عودة حقيقية إلى الفطرة واكتشاف الحقائق التى خفيت زمناً طويلا تحت ضغط الأهواء . ويعطى هذا التيار الجديد مفهوماً واضحاً أن الغرب لن يجد أمامه طريقاً إلا طريقاً واحداً للخلاص من أزمة الإنسان المعاصر ، والتمزق والقلق والغربة التى جاءت من فكرة واحدة خاطئة هى فكرة الخطيئة الأصلية التى ليس لها أساس حقيقى فى عالم الفكر أو العقيدة الصحيحة .

١ — هذه الصورة نفسها تطبقها الهيبية الحديثة مضافاً إليها الإنهيار الخلقى والإباحية الجنسية علناً ، فأضافوا دنس البدن إلى فساد الروح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٧)

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ

الدكتور موريس بوكاى عالم طبيب غربى ظهر فى السنوات الأخيرة على طريق تلك المسيرة الجديدة التى إستطاعت عن طريق البحث العلمى أن تجد فى القرآن والإسلام ذلك الضوء الكاشف الذى تتطلع إليه المجتمعات المعاصرة الحائرة بعد أن شاقها التطلع إلى هدى مقنع يكشف الطريق الصحيح للبشرية بعد أن حوصرت خلال القرون الأربعة الأخيرة فى نطاق الفلسفة المادية وبعد أن عجز الانجيل والتوراة أن يصمدا أمام الفحص العلمى الذى تعرض له العهد القديم والعهد الجديد فى السنوات الأخيرة على أيدى علماء من رجال الدين المسيحى أنفسهم ، ولقد أشرق هذا التيار الجديد بضوء خافت منذ بدأت كتابات توماس كارليل وجوستاف لوبون ودرابر ثم اتسعت دائرته فى السنوات الأخيرة بكتابات الدكتورة سجريد هونكه وغيرها، وفى خلال ذلك ظهرت أشعة مضيئة على أيدى بعض الذين اهتدوا فعلا إلى الإسلام أمثال الدكتور عبد الكريم جرمانوس والدكتور خالد شلدريك والدكتور ليوبولد فايس « محمد أسد » والدكتور اليان دينيه وكلهم من جلة العلماء الباحثين الذين دخلوا الإسلام وكتبوا تجاربهم وعشرات آخرون أوردنا أحاديثهم فى كتابنا « الإسلام فى غزوة جديدة للفكر الانسانى»، مما يؤكد وجود « مجرى جديد» أخذ يعمق ويتسع ويلفت النظر حقاً وسيكون بفضل الله بعيد المدى فى السنوات القادمة فى تغيير وجهة الفكر الغربى والبشرى والعالمى رغم كل محاولات المؤمرات التلمودية والاستشراقية التى ما زالت تنفث سمومها بهدف واضح ، هو أن لا يصل مفهوم الإسلام الأصيل إلى أهل الغرب ، وإن وصل فيجب أن يشوه بإثارة كثير من المغالطات والملابسات والتمويهات ، كانت آخر مؤامراته حلقات « الحوار » التى تستهدف الوصول عن طريق كتابات المسلمين إلى القول بأنه ليس بين الإسلام وبين المسيحية خلاف فى المسائل الأساسية وأن الخلاف كما يدعون ويكذبون هو فى مسائل فرعية أو شكلية، وتجىء صيحة الدكتور

موريس بوكاى فى كتابه الذى صدر منذ عامين « التوراة والقرآن، والعلم» وترجم من الفرنسية إلى الإنجليزية وإلى العربية فأحدث آثاراً ضخمة بعيدة المدى ، ثم يعاود الدكتور بوكاى مراجعاته بعد عامين ويواصل دراساته فيقدم أشياء جديدة خطيرة مثيرة يجب أن يلم بها القارىء المسلم ليكون على علم بذلك التيار الجديد الذى يقدم القرآن والإسلام إلى أهل الغرب عن طريق البحث العلمى والمقارنة مع العهد القديم والعهد الجديد ، وليزداد الذين آمنوا إيماناً وليكون ذلك مزيداً من الأسلحة التى يستطيع أن يستعملها الدعاة إلى الله مع من يحاورونهم .

يتساءل الدكتور موريس بوكاى فى أحدث دراساته التى قطع فيها الآن قرابة عشر سنوات : « ما الأسباب التى تدفعنا فى القرن العشرين إلى الإيمان بالله » .

السؤال مطروح هنا مع اندراج عامل الزمن فى صيغته ، إذ ليس من المفارقات القليلة الشأن فى عصرنا هذا أن تكون البواعث ذات العلاقة بالعلم قادرة على صرف البعض عن الإيمان بالله، بينما يقوى لدى الآخرين نفس هذا الإيمان . لقد أرادوا فى الواقع أن ينزعوا باسم العلم كل قابلية تصديق عن الميراث الدينى الذى تركته لنا القرون السابقة فى أشكال متنوعة، وفى أنحاء مختلفة ، وأرادوا ألا يثقوا بالمعرفة الإنسانية التى لا تفتأ تتقدم فى المعرفة العقلانية للحقيقة وألا يروا فى الدين إلا نتاجا لخيال جامح .

وهكذا استبعد من قبلنا كل وثيقة تتعلق بالإيمان بالله ، فهم يقبلون أن يأخذوا كل ما استطاع أفلاطون أن يكتبه عن سقراط الذى لا ينكر وجوده ، أما أن يحدثنا عن العهد القديم أو القرآن الكريم عن موسى ،

أو أن تنقل إلينا الأناجيل قصصاً وأخباراً عن عيسى فإن هذه النصوص لا يحكم عليها بالصدق ، وإنما تنبذ جملة وتفصيلا بالنظر إلى الموضوعات المطروقة فيها ، ذلك هو موقف المفكرين لما فوق الطبيعة أو مايتجاوز نطاق المحسوس، أولئك المفكرين الذين وجدت مواقفهم في الغرب قبولا لدى مفكرى القرن التاسع عشر وأدت إلى قيام نظرية المادية الملحدة . وهناك بالمقابل من يؤمنون بالله ، ولكن كثيراً منهم للأسف فى البلدان الغربية ما يزالون بحكم تربيتهم السابقة وتعاليمهم الراهنة التى ماتزال متحجرة صلبة لا يرضون بأن يتجزأ فكر موضوعى حتى ولو استمسك بإيمانه كاملا على الاهتمام بأسس هذا الإيمان المتمثلة فى الكتب المقدسة من أجل دراستها دراسة نقدية مجردة من أى حكم مسبق .

إن الشعور الدينى فى الغرب تحت التأثير السائد من اليهودية المسيحية ليشهد اليوم إنحساراً كبيراً جداً، فالترجمة المادية لهذا الهبوط قابلة للقياس بمنطلق الدقة فنحن نجدها فى هبوط الإتجاهات أو الميول الدينية عند الشباب .

تقول الإحصائيات : أنه كان لفرنسا سنة ١٩٦٥ مايقرب من ٣٦ ألف قسيس وكان من الممكن لسلك رجال الكنيسة أن يتجدد بصورة مرضية بمتوسط قدره ١٥٠٠ سنوياً من القسس الجدد. إلا إنهم لم يبلغوا سنة ١٩٦٧ أكثر من ٤٨٩ ومن ذلك العام أخذ عددهم ينخفض بإطراد ليصل إلى ١٣٦ فى ١٩٧٦ و ٩٩ سنة ١٩٧٧ ثم أن عدد الطلبة المسجلين فى المدارس الاكليريكية من القلة بحيث يمكن معه التأكد بأن عدداً من سيتم تكوينهم سنوياً من القساوسة فى السنوات القادمة لن يصل إلى مائة الأمر الذى يمكن معه القول بأن الكنيسة لن يكون لها فى غضون عقود قليلة سوى عدد ضئيل من الرجال . .

ومن الأسباب الأساسية لهـــذا النفور من الحياة الدينية فى البلاد المسيحية فقدان الثقة فى الكتب التوراتية وفيما يلى بيان ذلك :

لم يكن يجرى الحديث حتى مجمع الفاتيكان الثانى (٦٢ — ١٩٦٥) عن أصالة نصوص التوراة التى كان الناس يقبلونها على ما هى عليه حالياً باستثناء حالة اختصاصيين نادرين . من ذلك أنه ما من أحد كان يتجرأ - فيما يتعلق بالأناجيل — على أن يتشكك فى كونها تنقل إلينا كلام عيسى بدقة وإحكام . فهى كما كان يقال — نتاج شهود مباشرين لرسالته ، ألم تكن الأناجيل تدعى «مذكرات الحواريين» ، ولكن لائحة من لوائح مجمع الفاتيكان الثانى ١٩٦٥ لم تنح هذا النحو بصورة قطعية. غير أن هذا التصور قد هاجمته بعد سنوات قلائل من المجمع الأخير بحوث أخذت تظهر إبتداء من سنة ١٩٧٠ وهى من إنتاج لاهوتيين مسيحيين أنفسهم، فقد قام هؤلاء بدراسة دقيقة للنصوص مستعملين كل العناصر التى تمنحها لهم المعرفة العصرية فى مجال علم اللغة وعلم الآثار والتاريخ الخ. فقد أصبح الناس اليوم يسلمون بأن الأناجيل الشرعية الأربعة ليست سوى ترجمة لما كانت تعتقده فى عيسى جماعات مختلفة لا تتفق فيه كما يبدو من النصوص — على رأى واحد، لأن أحداثاً من رسالته قد عولجت بصورة تختلف باختلاف نظرة أصحاب الأناجيل الناطقين بلسان تلك الجماعات .

إن شروح الترجمة المسكونية الأخيرة للتوراة « العهد الجديد ١٩٧٢ » وهى عمل إشترك فى إنتاجه أكثر من ١٠٠ إختصاصى من الكاثوليك والبروتستانت لتصرح بذلك دون أدنى إلتباس أو غموض ، كما تعبر عنه أيضاً مدرسة القدس التوراتية .

وقد أثبتت مراجع دقيقة وعديدة من هذه الدراسات فى كتاب « التوراة والقرآن والعلم » بيد أن مجمع الفاتيكان الثانى كان قد استثنى فى

الحقيقة العهد القديم إذ أكد أن هذه الكتب تتضمن نقصاً بل وحتى « باطلا » وتبين الأعمال الحديثة أن من المشروع تقييم الأناجيل بمثل هذه التقييمات .

فكيف نتصور كون هذه الأناجيل لا تنقل إلينا إلا الحقيقة التى أوحى بها الله عندما نجد فيها مقاطع لا يقبلها العقل إطلاقاً ، مثل هذه السلاسل من نسب عيسى التى هى من تلفيقات خيال « لوقا » و « متى » وقائمة لوقا . ألا ينسب هذا الإنجليزى خمسة وسبعين جدا لعيسى منذ آدم ، إن ما نعرفه من الحد الأدنى لقدم الإنسان على وجه البسيطة ليجعل مثل هذا القول فى عصرنا هذا أمراً غير مقبول ، فكيف يلقن الله الناس مالا يطابق الواقع .

وهناك تناقضات كثيرة فى الأناجيل بين مرقص ولوقا ومتى تجـــد تفسيرها فى هذه البحوث العصرية التى أجراها الخبراء المسيحيون الذين بينوا أن صياغات متتالية لنصوص إنجيلية قد لفقت إنطلاقا من روايات سمعية عن عيسى كانت زائعة لدى الجماعات المسيحية الأولية وأن ذلك كله قد أفضى إلى الأناجيل الحالية ، وهكذا يكون الدليل على تلاعب الرجال بالمعلومات الأولية بهدف إنتاج نصوص مكتوبة يصفها الأب كانجيسر « أستاذ معهد باريس الكاثوليكى » بنصوص مكتوبة للمناسبة أو للنضال لأنها كانت نتيجة لصراعات بين جماعات متنافسة تسعى كل منها إلى إنفاذ نظرتها الخاصة . . وقد نشر اللاهوتيون البريطانيون السبعة بما فيهم رئيس لجنة مذهب إنجلترا نتائج أعمالهم ١٩٧٧ تحت عنوان (وهم الإله المجسم) وهو عبارة عن منازعة حقيقية لفكرة التثليث .

وهكذا أدت المعارف العصرية والمتنوعة والمطبقة على دراسة النصوص بالأفكار الموضوعية إلى عدم منح التوراة تلك الأصالة التى

كانت تضفى عليها ودون برهان أو دليل فى القرون الماضية ، تناقض قصص الخلق والطوفان » .

هذه المعارف العصرية قد أدت إلى تغيير المفاهيم التى كانت إلى ذلك الحين مفاهيم تقليدية مسلما بها دون مناقشة .

إن الإنتقال من التشكيك فى أصالة مجموع الكتب اليهودية والمسيحية بواسطة معلومات عصرية إلى رفض الإيمان بالله ، هو ماتفعله لسوء الحظ كثير من العقول المضطربة بفعل هذه الاكتشافات والتى تجهل أو لاتريد الاعتراف بأن وحى الله لا يقف عند حد عيسى . وهم إن يرفضون اعتبار ما يمكن أن يقدمه لهم الإسلام يصلون إلى الاعتقاد بأن المعارف الدنيوية تقدم المفتاح لجميع المشاكل وأن العلم القوى جداً قد سبق نهائيا كل إيمان بالله .

وقبل أن أعرف بزمن طويل مايمكن أن تقودنى إليه دراسة الإسلام إلى الاكتشاف فيما بعد — كنت دائم الاعتقاد بأن المعرفة العلمية كانت — مهما قيل فيها كفيلة جداً بأن تعود إلى التفكير فى وجود الله . ونحن حين نأخذ بعين الاعتبار ذلك التنظيم العجيب الذى يقف وراء نشوء الحياة وبقائها يبدو عامل الصدفة ، كما لو كان أقل إحتمالا أكثر فأكثر . ألا يؤيد المعتقد البالغ للكائنات العليا وجود تنظيم محكم جداً يقف وراء هذا الترتيب العجيب لظواهر الحياة .

لقد وجدت هذا التوافق بين الدين والعلم فى تفكير يقوم أساساً على معطيات مادية ، ولقد وجدتها والحمد لله يوم أن شرعت فى دراسة القرآن وبحثت طويلا ووجدت فى قراءته تجسيداً جديداً لهذا التوافق بين الدين والعلم ، ذلك التوافق الذى كان يمكن لدراسة النصوص التوراتية من حيث المنطق أن يصرفنى عنه .

إن تطبيق مكتسبات العلم على دراسة الكتاب المقدس « القرآن » قد جعلتني أكتشف كل ما يتعلق بظواهر طبيعية عديدة لا يمكن أن ننسبها إلى إنسان نظراً لما نعرفه عن تاريخ العلوم ، ولقد تجلى لى أن مكتسبات العلم ضرورية لفهم كثير من الآيات وأن دراسة « القرآن » على ضوء المعارف العصرية تقود من جهة أخرى إلى اكتشاف كلام قرآنى سابق لزمانه بما يزيد عن ألف سنة وأن ما تعرفه عن تاريخ العلوم ليجعل من المستحيل أن يكون إنسان ما قبل نحو أربعة عشر قرنا هو قائله ، وحيث أن (القرآن) يضع أمام تفكيرنا تأكيدات تمثل تحدياً للتفسير البشرى فإنه يبدو أن كل تناقض بين الدين والعلم قد أبطله هو بالذات . إن النص الموجود بين يدينا اليوم هو عينه الذى كان فى فجر الإسلام ، فهذا اليقين شرط أساسى لصحة المقابلة بين نص « القرآن » والمعارف العصرية .

كذلك فإن هناك عنصراً هاماً يكمن فى المقارنة بين نصوص القرآن ونصوص التوراة فيما يتعلق بالخلق على ضوء التصورات العامة الحديثة عن خلق الكون وتصوره ، فنحن لا نجد فى « القرآن » مانجده فى التوراة من أخطاء ، وهى ملاحظة تقضى على الفرضية التى سبق أن أيدت فى الغرب — ودون أى حجة — والتى مفادها أن مافى « القرآن » يكون قد نقله إنسان ما من التوراة .

إن ماذكره « القرآن » عن الأرض ولا سيما عن دورة الماء فى الطبيعة وتكون التعاريج وعن مفاهيم العلوم الطبيعية والفيزيولوجيا وتوالد البشر ، تفرض القول على كل إنسان موضوعى صادق النية أن يستحيل على إنسان كان يعيش فى العصر الذى نزل فيه القرآن أن يعبر بمثل هذا الكلام من تلقاء نفسه . وقد أوضحت بأن عبارة المقارنة الدنيويه تعنى أحداثا تثبتها وتؤكدها تجربة وليست قابلة للنقض فيما بعد ، قارنت بين القصة القرآنية والقصة التوراتية فى موضوع الخلق والطوفان وخروج موسى من مصر .

لقد حددت التوراة زمان الطوفان فى عصر لم تحصل فيه أية كارثة كونية لأسباب تاريخية باتت معروفة جيداً فى عصرنا الحديث فى حين أن القصة التى أوردها « القرآن » للطوفان بوصفه عقابا سلطه الله على شعب نوح بسبب كفره لم يحدد له زمان قصة لا يرقى إليها أى نقد من هذه الوجهة .
والسؤال هو : هل استطاع الناس فيما بين الحقبة التى وضعت فيها التوراة والعصر الذى أوحى فيه القرآن المعرفة الإنسانية أن يحصلوا على معلومات عصرية فى هذا الموضوع . من المؤكد أنهم لم يحصلوا على شىء ، فكيف يتسنى لرجل — إذا صح أنه هو الصانع للقرآن — أن يستبعد منه كل ما لا يقبله العقل فى العصر الحديث وأن لا يعتمد من الأحداث والأخبار إلا ما يعلو على كل نقد من الوجهة العلمية وكما تصدق هذه الفكرة على الطوفان تصدق على ما جاء فى القرآن بصدد موضوعات أخرى .

لقد وفرت التوراة « العهد القديم والعهد الجديد » مجالا للتفكير فى تعارض صارخ بين بعض مقاطع نصوصها وبين المعارف الحديثة ، لقد كان دور التلاعبات البشرية بها دور كبير جداً .

أما القرآن فإنه لا يتضمن شيئاً مهما يمكن للعلم أن يرفضه لأن كلامه وقائع ثابتة مؤكدة وغير قابلة للتغير ، كما أن عددا من المعلومات الواردة فيه لا يمكن فهمها إلا فى عصرنا هذا .

ويصور الدكتور بوكاى آثار غلبة الفلسفة المادية على الغرب فيقول : ألا تشهد فى البلدان الغربية التى يغلب فيها التأثير اليهودى المسيحى عجزاً كاملا لأساتذة الفكر الدينى فى مواجهة المادية بمعارضتها معارضة فعالة تقوم على حجج دامغة من شأنها أن تقف سداً منيعاً فى وجه أمواجها العارمة . نجد فى الغرب هبوطاً قوياً للميول الدينية هو أقوى دليل على هذا الإنهيار بينما نلاحظ فى بلاد الإسلام توسعاً وانتشاراً فى الأونة الراهنة . الملاحظ أن هناك ديانات تتقهقر فى عصرنا هذا من حيث توزعها العددى ،

وهناك ديانة تتقدم على المستوى العالمى «هى ديانة الإسلام» هذه المعلومات من الكتب المقدسة فى مواجهة العلم لا ينبغى أن تترك أحداً فى موقف اللامبالاة بسبب عناصر التقييم الجديدة التى تقدمها لنا وإمكانيات المستقبل التى ترتسم فى الأفق . إن اشتمال « القرآن » على جميع العناصر التى هى من الوقائع الراهنة التى أخذت فى هذا القرن العشرين بفضل المعارف الحديثة تقدم بعدا كان مجهولا إلى هذا الحين ليحملنى على دعوتكم إلى التدبر فى هذه الآية الكريمة من سورة البقرة :

« كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » .

ونقول فى ختام هذا الاستعراض أن الدكتور بوكاى بلغ مرحلة فكرية تربوية فى الكشف عن عظمة القرآن وعن إضطراب التوراة والإنجيل بالدليل العلمى مصدقا لما أشار إليه القرآن من أن أصحاب هذه الكتب جعلوها قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا منها ، وغاية القول أن بوكاى أيد بلسان المقال عبارة القرآن « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً » وما زال الحق تبارك وتعالى يكشف عن آياته «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق» .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٠/٥/٠٧
الترقيم الدولى ٢ — ٠٥ — ٧٣٤٠ — ٩٧٧

دار الرسالة للطباعة
٩ حارة الأربعين بالكحكيين
الغورية ت ٩٣٦٠٠٨